ضوء

رواية

ذياب فهد الطائي

02- 07-2022الخميس

الساعة السابعة مسا ء

يجب أن أتذكر ،لماذا خرجت من الدار ،والمهم أين أنا الان ؟ لماذا كل هذه الضجة التي تملئ الشارع ؟ بعض الصبية يلوحون لي ،رفعت العصا ولكني ترنحت فأعدت استنادي عليها ، الظلام ليس كثيفا كما في السابق ،كما لم يكن الشارع مضاء بكل هذه المصابيح ، رتل من السيارات يمر من جانبي فيما مزاميرها ما تنفك تثير ضجة مزعجة

صبية يخرجون رؤوسهم من النوافذ وهم يلوحون للمارة ويصرخون بصخب ولكن بكلمات غير مفهومة ،سمعت شابة تقول :اخرج من الشارع يا عم

ولكن أخرج الى أين ؟

. رشقني صبي بحفنة من (الجكليت) وهو يقول :عرس أخي ...أخي مصطفى

كان ذات الموقف حين سألني ابني وهو في الثالثة لماذا ينثرون كل هذه الحلوى

قلت له لديهم عرس ،صمت لحظة ثم ضغط على يدي :ما هو العرس؟ ، اعطيته ، بعضا من الحلوى

فكرت ان علي ان أتحرك إذ ربما أسبب زحاما ...كانت سيارة مندفعة من الجهة المقابلة ، عيون الصبي الذي يجلس خلف المقود مرعوبة تماما وكان يحرك يدية بعصبية وينثر شتائم بذيئة كما توقعت من تقلصات عضلات وجهه التي حكمتها لحظات قاسية

على الرصيف الذي كان على مبعدة خطوتين توقف المارة ،بعض الفتيات وضعن ايدهن على افواههن بحركة فزعة وكأنهن يحاولن استباق الصرخة التي ستغادر شفاههن الى وسط الشارع ،شعرت اني ارتفع بخفة وكأن ريحا عاتية تدفع بي الى الرصيف فيما كانت الصرخات تتعالى وأنا اهبط مرتطما بالرصيف الإسمنتي، لم أترك عصاي ولكن نظارتي سقطت قبلي وسمعتها تنوح وهي تشظّى ، لم تعد الأصوات مفهومة وأصبحت لغطا مختلطا ولكن بنبرة يشوبها بعض الحزن وكأنها تحاول ان تواسيني ، شعرت بسائل دافئ ولزج يتحرك ببطء فوق عيني اليسرى ،ولكني لم أستطع أن أحرك يدي

Met opmerkingen [A1]:

وجدت نفسي في بستان الخس حين تعرض موقعنا لصاروخ إيراني في معارك نهر جاسم ،حين صدرت الأوامر بالتقدم كانت جحافل من المشاة تتقدمها مئات الدبابات ترافقها كتائب الهندسة فيما كانت الطائرات تواصل غارات عنيفة مستهدفة تجمعات ومواقع الإيرانيين ، شدة القتال و سرعة التقدم نحو نهر جاسم كان أشبه بيوم القيامة الذي يروّج له رجال الدين وهم يتحدثون بلهجة عميقة متوعدة وحادة ، لم نستطع اعداد خنادق في خطوط الدفاع كافة، وبدلا عن ذلك قامت مجموعة من (الشفلات) وباستعجال بإعداد حفر للتحصن فيها ، كان نهارا قاسيا لم يتوقف القصف المتبادل ،وفي الساعات الأولى من الليل تعرضنا لهجوم من مجموعات من الجنود الإيرانيين اقتحموا مواقعنا متخذين نهر جاسم للوصول

الينا ، جرت معارك ضارية بالسلاح الأبيض وفي الساعة الواحدة صباحا أمكن القضاء عليهم ، خلّف هذا حالة إعياء، حين اتكأت على كومة التراب شعرت إن خدرا يلفني وفجأة شعرت بأني احلق تماما كما كنت أحلم وأنا في الابتدائية ليلة الامتحانات ، حين أقص الحلم لأمي كانت تربت على رأسي وتقول :خير إن شاء الله ، ستكون الأول

لم يكن نهر جاسم اعرض من شط البصرة فهو لا يتجاوز العشرة امتار عرضا، ، كما كان اقل منه غاطسا فقد رأيته حين زرت البصرة في أيام الجامعة

حين سقطت في بستان الخس كانت أرضية البستان رطبة وهشة وسمعت شتلات الخس تتقصف بسقوطي فوقها ..حين نقلوني الى مستشفى الميدان المتنقل قال الطبيب الذي بدأت شواربه المحلوقة قبل يومين أو ثلاثة تعلن عن نفسها بشعيرات متباعدة فيما كان وجهه يحمل كمية من التعب والاجهاد

، رضوض بسيطة-

،اعطاني شريطا بعشر حبات من البر ستمول

ارتطام القذائف بالأرض الترابية يرفع كميات كبيرة من الأتربة تجعل من الصعوبة رؤية الجانب الثاني من نهر جاسم الذي كان ينساب ماؤه ببطء وكأنه يتابع مجريات القتال ، كنت اسير متّكأ الى كتف جندي مستشفى الميدان المتنقل ليوصلني الى موقعي بدا المشهد أمامي مختلطا وملتبسا وغائما ،كان صوت القصف المتبادل يضفي على المشهد لمسة(بنا رومية) ،كنت أشاهد كل ما يجري بإحساس محايد فيما ألم ممض يسري في كل جسدي ،كنت في حالة يمكن ان أسميها غيبوبة واعية .

.حين رفعوني الى النقالة كان شخص ما يقول :بعناية انه عجوز ولا يتحمل الألم

ا

طلب من فتاة تقف الى جانبه ان تخلع بنطالي ،قالت :دكتور ...يبدو رجلا ميسورا لم يعلق

بدأ بالساق المهشمة ،نظفها أولا من الدم الذي بدا متجمدا

قال : من حسن الحظ ان دمه سريع التخثر

هل تشعر بالألم-

فتحت عيني اليسرى أولا كنت اشعر ان العين الثانية ثقيلة ربما بسبب الدماء التي تخثرت فوق الجفن والنازلة من جبهتي،

قال الدكتور : بشكل عام لا توجد خطورة على حياتك ، الكسور ستشفى ولكن قد تتأخر ومن المهم الحصول على نتائج السونار

قلت :إن شاء الله

ستبقى ليومين ،هل لديك أقارب لنخبرهم-

لا ، انا أعيش وحيدا ، ولكن لدي صديق علاقتنا وطيدة-

اخرجت هاتفي

الشرطة بانتظار معرفة ما حصل وهم بانتظارك-

أول مرة تعاملت فيها مع الشرطة كانت قبل حوالي السبعين سنة ،كنت عائدا من القشلة حيث اجد كتبا رخيصة يمكنني شرائها ، استوقفتني سيارة اجرة ،قال احدهم هل انت عبد الستار ثجيل ،كان صوته معاديا ويحمل نبرة مستفزة

نعم-

فتح الباب ونزل رجل داكن السمرة في عينية نظرة استخفاف ويضع على رأسه كوفية متسخة وفوقها عقال كأنه خيط اسود ويرتدي سترة بلون الرصاص الصدئ وجلابية ليس من السهل تحديد لونها

اصعد-

لماذا-

نحن شرطة ،من الشعبة الخاصة، سنذهب الى بيتكم أولا للتفتيش-

عدت ثانية أحدق في عيني الصبي المفزوع والمتشبث بعجلة القيادة فيما كانت قدمه تضغط على دواسة الوقود على نحو لا إرادي ، وأنا اطير الى الرصيف ....أغمضت عينيه بقوة

كانت انتصار تقول دائما إن لدي ذاكرة ليست طبيعية فهي تحتفظ بالتفاصيل الثانوية ويبدو إني رغم تجاوزي التاسعة والثمانين مازلت أملك تلك القابلية

،قال صديقي رياض هذا بسبب ادمانك القراءة ..أنا احفظ كل تفاصيل ولادة اطفالي الثلاث بالساعة وبالدقيقة
قال شرطي بالزي الرسمي -هل تستطيع ان تصف لنا ما حدث
كان الممرض يعدل وضع الوسادة فيما رفعت الممرضة السرير من جهة رأسي ،جلس مفوض الشرطة مقابلي وظل الشرطي ممسكا بدفتر ليسجل ما سأقوله
نعم-
كانت سيارة سوداء من نوع رانج روفر يقودها صبي ربما في السادسة - عشر متوجها نحوي وأنا أعبر الشارع
لماذا لم تنتبه الى السيارة وأنت تحاول العبور-
كنت منتبها ولكن الصبي لم يكن منتبها-
ولماذا كنت خارج المنزل ودون ان يصحبك احد سيما وانت بطيء - .... الحركة بحكم العمر
قلت -في التاسعة والثمانين ؟ ثم تابعت
نعم ...انا أعيش وحيدا ،ومنذ أسبوع لم اخرج من داري ، ولكن اسمح لي - ان أساءل هل يفترض ان يصحبني أحد وانا أعيش هذه الحياة منذ عشر سنوات؟
قال المفوض وهو مسترخ -لماذا ؟
داخلني إحساس بان التحقيق يجري منحرفا عن جوهر الموضوع
لماذا يقود مراهق سيارة بهذه الفخامة وحيدا ؟-
رمقني الشرطي الذي يدون المحضر بنظرة لؤم حادة وطويلة
الأسئلة انا من يحددها-
طبعا حضرة المحقق-
لم يرق له ردي
قال-يبدو انك متعب ، سنتركك الان ونعود غدا
نهض بتثاقل واغلق الشرطي دفتره
ليلة بدون الام-
ولكم ليلة هادئة -

قدرت ان الحديث بيننا كان متوترا وفيه من (الحسجة) العراقية وكان حدسي في محله فقد دخلت الممرضة لتعلمني ان ضيوفا يرغبون بزيارتي

كان رجلا في الخمسين طويل القامة بمسحة بدائية على ملامحه ، يرتدي جلابية سوداء ربما من قماش خليط من الحرير والبولسترين فقد كانت تتموج تحت اضاءة المصباح المعلق وسط الغرفة قدرت إن أية مماحكة ستغير مزاجه الذي يبدو عليه شيئا من الترقب والمجاملة المفروضة ،الى سلوك عدائي قد يصل الى حد المشاجرة، كان يحمل باقة ورد كبيرة ولكن عدم انتظامها في كيس ورقي أسمر يعطي الانطباع إنها قطعت على عجل من حديقة الدار ،وراءه مباشرة الصبي الذي كان يقود السارة وبدلا من نظراته الفزعة وحركته المتشنجة وهو يتشبث بمقود السيارة ،كان يطأطئ رأسه و ينظر الى قدميه بشعور بالذنب ،كل ما يجري ، كأنه مقطع في حلم أعيشه بتفاصيل أكثر مما هي في الواقع

قال الرجل : حمدا لله على سلامتك ودفع الله الأسوأ

حاولت أن أرفع رأسي قليلا ولكني شعرت بالم في رقبتي وأني أضعف من أن أرفعه فقد كان ثقيلا ،حركت يدي في دلالة امتنان لدعوته لي بالشفاء

وضع باقة الورد على الطاولة وجلس على الكرسي جنب سريري بعد ان سحبه بحركة لا مبالية أصدرت صريرا مزعجا

لا يكفي الاعتذار ....اعرف ذلك ...ولهذا دفعت كافة مصاريف المستشفى ...و-

لم أدعه يكمل ، حركت يدي أولا ،ثم قلت بصوت واهن -لابأس...ولكن لم يكن من داع لذلك فانا استطيع دفع التكاليف

قبل يد عمك-

كانت لهجته حادة وقاطعة وهو يأمر ابنه ،وضعت كلا يديّ الى جانبي وشعرت بإحراج ...ليس مهما ،ولكن كان عليك ان تمنعه من قيادة السيارة

كنت منشغلا حين سرقها-

بدأ خدر يتمدد في جسدي ببطء ولكن بثبات وشعرت إني غير معني باعتذار الرجل ولا بمعاقبة ابنه وكأن الامر لا يعنيني ، لو حدث هذا قبل عشرين سنة لكان الامر مختلفا ...كان يمكن لانتصار ان تطالبني بعدم السكوت وكان حكمت سيصر على أن يؤدبه وهو يشد قبضته أما حسن فلربما اكتفى بشتيمة الجميع ...ولكن لا

أحد منهم معي اليوم اتمدد على سرير حديدي وليس معي غير خزين هائل من الذكريات، انتصار رحلت أولا ...حكمت تزوج وهاجر الى كندا وحسن في قطر اما ابتسام فقد تزوجت وغادرت الى المانيا ....في السنة الأولى كان الجميع يتصل أسبوعيا وفي الثانية اصبح الاتصال شهريا اما في السنة الثالثة فقد اقتصر على الأعياد وبكلمات مجاملة لا تحمل عاطفة او مشاعر حميمة

لم ارد على مفوض التحقيق حين سألني لماذا خرجت من الدار ...لم اقل له اني منذ اكثر من شهر لم يطرق بابي احد وكنت اجلس الى الشباك أتطلع في الحديقة الصغيرة اراقب تفتح مجموعة من زهور دوار الشمس حين تطالها اشعة الشمس وتظل تدور متابعة الضوء الباهر وهو يغير مكانه ..وحين يبدأ المساء تغفو مسترخية

شعرت بالرجل يربت على يدي وجاء صوته القلق والحاد من بعيد :سأزورك صباحا ...انت الان متعبا

الممرضة الهندية قامت بتسوية الفراش ترافقها ابتسامتها المتعاطفة

قالت :سأعطيك حقنة لتخفيف الألم

لم ارد عليها فقد كنت أعود ثانية الى غيبوبتي الواعية ولكني شعرت بوخز الابرة

اسدلت الممرضة الستائر ،كانت تتحرك بالية ،سكبت بعض الماء في قدح قريب ، كنت اسمع صوته وهو ينسكب فقد كانت ترفع يدها قليلا

تصبح على خير-

لم ارد ، شعرت باني استمتع مستلقيا بحمام دافئ فيما انتصار تدلك ظهري وهي تردد ...اتبعه وين ما يروح.....كانت دائما تملك كمية فائضة من المرح ،حالة في اغلب الأحيان معدية ،كانت تدفعني الى أن أتشبث بطاقة إيجابية اكثر انفتاحا

حين جاءتنا اول رسالة من حكمت كنت محبطا فقد تحدث فيها وكأنه يخاطب أحد أصدقاءه ،كان يتحدث عن رحلته وكيف تعرف على فتاة في الطائرة زودته بمعلومات غاية في الأهمية ، وعن يومه الأول في كيوبك حيث الناس يتحدثون الفرنسية وعن سكنه في شقة تضم فتاتين ... تصوروا انها بحمام مشترك ، وفي الصباح نتناول الفطور ثلاثتنا والاهم إن الفتاتين من شمال كيوبك إحداهما طالبة جامعية والثانية موظفة ،وحين يتواجدن في الشقة فهما غالبا بالشورت !!!!

لم يتذكر بغداد ...اصدقاءه ...البيت ... أخيه او أخته ...لم يسأل عن أحد كنت محبطا ...قالت انتصار وهي تبتسم بفرح غامر ....صغيري عملي و سينجح في كندا وفوق ذلك (سعيد وعني بعيد)..سأعمل شاي (كجرات)، شعرت بشيء من الراحة وطويت الرسالة ، في الصباح كانت تضع باقة من زهور الجوري الحمراء وسط طاولة الإفطار ، لفت نظري انها نسقتها بعناية وفي وسط المزهرية كانت زهرة لم تتفتح بعد ولكنها ترتفع قليلا ، قالت انتصار وهي تصب الشاي ...حكمت سيكون مثل هذه الزهرة

لم اعلق

قالت :لقد حلمت بذلك

صباح الخير ....كان الطبيب-

اعتقد انك بوضع افضل-

لم أجبه ...تناول استمارة وصف الحالة المعلقة بالسرير

هل تعاني من ألم في الرأس؟-

كان طنينا مستمرا ظل طوال الليل يسكن رأسي حتى لم يعد يشكل ازعاجا لي فقد الفته

، كانت رسالة حسن الأولى أكثر توازنا وحميمة من رسالة حكمت

كيف حالك يأبي ؟ وكيف تقضي أوقاتك ؟ هل مازلت تذهب الى مكتبة المتحف الوطني ؟ وهل ما زالت الوالدة تعيد قراءة النفوس الميتة لغوغول وتضحك بصوت عال ؟ أشتاق لكما

امس كنا على الهاتف مع حكمت ....يعمل في مصنع للبيتزا يجهز معظم مطاعم كيوبك ولهذا انتقل الى شقة مشتركة مع عاملة إيطالية تعمل معه ولكن بوجبة الليل ..يقول انه يكسب جيدا ويفكر بالانتساب الى جامعة للحصول على الماجستير وهو ،مسرور لاجتيازه اختبار معادلة شهادة البكالوريوس العراقية

، هل تم اكساء شارعنا بالإسفلت ؟ وكيف حال خالتي ؟هل تصالحت مع زوجها

كم أود أن أتسلق نخلة البرحي في تموز ....المتعة حين أقطف الرطب مباشر من ... العذق المليء ...حكمت يرجوني ان ارمي له بضع حبات لأنه يخاف الصعود

هنا الكثير من البرحي في الأسواق وطريقة عرضة مشهية ولكن لذة تناول الرطب وانا عند العذق شيء اخر

سلامي للجميع

قال الطبيب – لا بد من اجراء فحص للدماغ ...ربما بعد ساعتين

عدت افكر بالطنين الذي بدأ يثقل رأسي ويضعف قدرتي على رؤية ما حولي ،ويلزمني بالعودة الى الماضي ، ما حولي لا يعنيني تماما وما عشته وأنا أمارس

عملي اليومي سابقا يقف امامي شاخصا وكأني أراقب شخصا أخر اكن له اعجابا وأجد لواما أن أشجعه

كما ترى دكتور-

قالت الممرضة الهندية وهي تتخفى خلف ابتسامتها التي تسكن ليس في وجهها فقط ولكن تشع من اعماقها

هل تستطيع مقابلة الرجل الذي جاءك بالأمس ؟-

لابأس فانا بحاجة الى من أكلمه كما إن رياض ليس في بغداد-

لم تعلق

وحين خرجت دخل الرجل بذات الجلابية ولكن شعره أشد سوادا وتتراقص فوقه موجات الضوء من المصباح المعلق وتنعكس بلمعان خلق لدي انطباع انه استعمل كمية كبيرة من زيت بنوعية رديئة ،كان يحمل بين يديه كارتونا بزجاجات عصير البرتقال وعلبة حلويات وكيس بلاستك مليء بالموز كأنه يزور أحد أصدقائه

جلس على الكرسي القريب وربت على صدري ، كانت يده ثقيلة ،خمنت انه في الأصل سائق شاحنة

قلت بصوت كنت اشعر انه يصدر عن شخص اخر بعيد

ارجو ان تعطي الحاجيات للمعين عند الباب فأنا لا أتناول العصير ولا احب - الموز

لم يتأثر ..قال -لابأس.... انها لك ومن حقك أن تهديها لمن تشاء

تعلم إن ابني ارتكب خطأ ، واعتقد انك تقدر انه طائش ولكن مستقبله بين يديك-

اعرف هذا ولن احمله اية مسؤولية ، ولكن كيف ستبرر أمره مع الشرطة ؟-

انبسطت أسارير وجهه بتقاسيمه الغليظة

مع الشرطة الأمر سهل-

الجمعة 03-07- 2022

الساعة الثانية عشر

تم اخراجي من غرفتي على السرير الذي كنت ارقد عليه ،الممر الطويل في الطابق الثاني مضاء بطريقة مبالغ فيها والجدران المطلية بلون ابيض كانت لامعة

كنت أشعر إني أواجه موقفا فارقا لأن وجه الدكتور كان مشدودا وهو يعلمني انهم سيقومون بفحوصات عن طريق أجهزة حديثة للتأكد من سلامة الدماغ ، لم يكن الموضوع مقلقا لأني تجاوزت مرحلة الخوف على حياتي

كنت في السنة الأولى من دراستي المتوسطة حين تعرضت لألم شديد بسبب التهاب أحد اسناني، احالتني الإدارة الى المستوصف القريب من المدرسة ..جلست انتظر دوري وكان مكان جلوسي مقابل باب طبيب الاسنان ...خرج رجل يتوجع ولكن ما اثار الرعب في قلبي هو الأجهزة التي كان يقف عندها طبيب اسمر اللون ضخم الجسم بملامح كأنها تعرضت لعملية فوضوية لتعطي انطباعا بالخوف ...بدا لي الطبيب العملاق مرعبا وشعرت بانه ربما سيقلع اسناني بيديه

دخلت فتاة من الواضح انها طالبة في المتوسطة أيضا ....شعرت بشيء من الاحراج وانا ارقبها تدخل بخطى ثابته

حين خرجت لحقت بها في الممر

هل تسمحين بسؤال-

نظرت نحوي باستغراب وهي تنزل يدها التي كانت تضعها على فكها

نعم-

هل قلعت أحد اسنانك ؟-

نعم-

ولكن كيف تحملت الألم ؟ -

ربما أدركت خوفي فقد ابتسمت

قبل قلع السن هناك إبرة مخدر تجعلك لا تشعر بالألم-

فكرت .....اذا كان بإمكان الفتاة فعل هذا ،فلماذا أنا مرعوب ،كان الدرس الأول في امكان فعل شيء ما، ظل يلازمني طوال حياتي

كان الجهاز الذي ادخلوني به وأنا ممدد اشبه بكبسولة فضائية وهو يصدر أنينا متقطعا فيما يتحرك الحزام الناقل ببطء شديد وكان الجهاز يفحص كل خلية في جسدي ، شعرت بخدر لذيذ يأخذني الى طفولتي وأنا اسبح في نهر ديالى ..استلقي على ظهري محركا يدي ببطء ووجهي وحده فوق الماء فيما تداعب شعري موجات رخية تصنعها حركتي وأنا اجذف مندفعا مع التيار

حين نخرج من الشط ننشغل بقطف حبات الخيار المزروع على امتداد الشاطئ وحتى الجسر الحديدي الذي يعبره القطار الذي كنا نسميه القزم لأنه كان يسحب عربتين

كان شخص يجلس الى جانب الجهاز يشتغل على كمبيوتر بشاشة كبيرة ويحرك أصابعه فوق الجهاز بخفة احترافية مركزا بانتباه عال على الأرقام التي يسجلها الجهاز أمامه،

ليس من السهل معرفة الوقت الذي قضيته داخل الجهاز حين توقف،
فقد كنت أعود الى غيبوبتي الواعية فافقد الإحساس بالوقت الذي يمر وكأنه بعيد

عني ،سألت الممرض الذي يدفع سريري الى الغرفة عن نتيجة الفحص ،قال انه لا يعرف شيئا وعادة تظهر النتائج بعد ست ساعات على الأقل وغير مصرح الحديث عنها الا للدكتور احسان

إذا طبيبي اسمه احسان ...وهذا ربما يكون مطمئنا لأن الاسم بمدلوله ....قالت الممرضة الهندية والتي كانت ابتسامتها ما تزال مزروعة فوق شفتيها ، ولكن لأنها كانت متعبة لم تكن ممتدة الى عمق عينيها ،كانت محصورة في شفيها المنفرجتين حيث بدت اسنانها ناصعة البياض

اتصل الدكتور احسان وقال انه سيحضر بعد ساعتين-

كانت تنقل خبرا دونما اية مشاعر متعاطفة وكأنها تصرّ على اشعاري بأنها محايدة تماما وهي ليست اكثر من ممرضة تؤدي واجبا ، أشعرني هذا بشيء من تعكير المزاج فقد كنت انتظر منها تطمينا بعد تصرفها الإيجابي والمتعاطف أمس

في أي يوم نحن-

الجمعة-

هذا يعني اني هنا منذ أمس ،طلبت منها كأس ماء ، حين جلبته وضعته على الطاولة الى جانبي ولكني فقدت الرغبة بشربه

فكرت أن أسألها عن سبب تغير مزاجها ولكني شعرت بتخاذل في قواي وارتفاع حدة الطنين ، كانت انتصار تقوم بتدليك رقبتي حين أحس بالتعب أثناء قيادة السيارة ونحن نسافر بين بغداد والحلة ...رغبت بذلك الان بقوة ....لم استطع طلبه من الممرضة الهندية

قال أبي- لماذا لم تذهب اليوم الى المدرسة ؟

قلت- لان مدرس التاريخ قرر ان يأخذ طلاب الخامس الابتدائي للسينما وانت ترفض ذلك

قال -ولكن الثورة الفرنسية جزء من المنهاج الدراسي

هل يعني اني يمكن ان اشاهد السينما-

نعم-

، بعد هذه الموافقة كنت اذهب كل أسبوع للسينما بحجة الثورة الفرنسية

قالت امي – هل هناك يوميات مسجلة للثورة الفرنسية ؟
لا اعرف ، ولكن لماذا ؟-
لأنك تذهب كل أسبوع-
يقول معلم التاريخ إن الثورة الفرنسية هي أطول ثورة في العالم-
توقفت أمي عن الحديث ...وجدت إني تعلمت الدرس الثاني في حياتي

كان الطبيب يقف عند رأسي وهو يدقق النظر في مجموعة من الصور الشعاعية وورقة عليها رسوم بيانية متقاطعة ورموز على مساراتها، كنا في درس الإحصاء في كلية التجارة والاقتصاد ، كان الأستاذ يقف عند السبورة يخط موضوع المحاضرة ،كتب (نظرية الاحتمالات) ، احتجت طالبة كانت تصر ان تجلس في الخط الامامي ...موضوعنا اليوم الاقتران!!!!
توقف الأستاذ وشمل الجميع بنظرة مستفهمة وقال :الانسة تريد الاقتران
ضج الجميع بضحكات ساخرة، تابع الأستاذ :انستي لماذا الاستعجال ؟
قال الطبيب :عزيزي الحاج
كانت نبرة صوته تعلن عن خبر لا يمكن وصفه بانه مطمئن
ارجو الا تنفعل ....ولكن وضعك الصحي صعب-
ليس أمامي إلا أن أسمع الاخبار المحزنة ....أعرف إن ما تبقى من العمر - يشرف على النهاية والنهايات المثيرة هي المحزنة كما إني اعتقد إن للموت مواقيت لا علاقة لها بوضعنا الصحي وإلا كيف غادرتنا انتصار وهي لا تشكو من اية أمراض في حين أظل أنا الذي اعاني من مجموعة منها ، ربما لأني لم أكن أقف عند حدود المشاكل التي اواجهها و كنت ابحث عن حلول لها وكانت انتصار تقول اني املك قدرة استثنائية على التأقلم،
تطلعت الى وجهه
فقط ارجو أن تخبرني بكل ما عندك دكتور –
قال- لديك ارتجاج في المخ وقصور في القلب وليس في قدرتنا اجراء عمليات لمعالجة ما تعاني منه بسبب انك تعاني من السكري فضلا عن تقدمك في العمر...يمكن ان نعطيك المسكنات المتوفرة

تذكرت أبي الذي كان لا يؤمن الا بالكي ...كنت أراه حينما يضع سيخ الكباب على النار حتى يحمر ثم يرفعه ليضعه على ساقه وتنتشر رائحة حرق اللحم (الشعواط)
لابأس دكتور ، ولكن متى أخرج من المستشفى ؟-
بعد ثلاثة أيام وستزورك الممرضة مرتين في اليوم-
أشكر اهتمامكم ولكن قد لا تسمح ظروفي المادية بدفع التكاليف-
لقد تكفل صديقك بذلك-
من المهندس رياض؟ -
لا خضير-
ولكني لا اعرف خضير-
الرجل الذي زارك مرتين-
شكرا-
حين خرج الطبيب طلبت من الممرضة هاتفي لأني نسيت أين وضعته ، فكرت أنه لابد من الاتصال برياض لأنه الوحيد الذي يمكن أن يتابع مراسيم مغادرتي الحياة ، ابنائي منشغلون ، ظل الهاتف يرن ولكن لا جواب....تركت له رسالة على اكثر من موقع طلبت فيها ان يتصل لأني في مستشفى الشفاء الأهلي ووضعي حرج
شعرت بأني أعود الى الغيبوبة ولكن هذه المرة لم تكن واعية ، كما شعرت إني أتقيأ على نحو لا إرادي
حين عدت أرى ما حولي كانت ساعة هاتفي تشير الى الخامسة مساء فيما اجتاحني شعور بالسكينة والراحة ولكن حين حاولت ان امسك بقدح الماء الى جاني سقط من يدي محدثا صوتا حادا متكررا
الممرضة التي جاءت مسرعة لم تكن الهندية ،كانت امرأة ربما تجاوزت العقد الرابع ممتلئة عيناها واسعتان تدوران بشكل ملفت
كان بإمكانك أن تضغط على الجرس-
كان في صوتها رنة عتاب لم أرتح لها
أين الممرضة الهندية ؟-
شملتني بنظرة حادة
... الكل يسأل عن الهندية-
لم أعلق فقد دار بخلدي إنها ستسمعني كلاما أنا في غنى عنه

لقد ابدلت فراشك ...تقيأت أكثر من مرة-
هل قال الطبيب هذه علامة سيئة-
لا أعرف !!!! هل انت بحاجة الى شيء؟-
كانت قد أنهت جمع زجاج الكأس المبعثرة ومسحت الماء
صوت الهاتف يعلمني اني استلم رسالة على الوتس اب
هلا ناولتني الهاتف-
كانت رسالة من رياض يقول فيها إنه في دبي ولم يجد مكانا على رحلات اليوم ا ولهذا حجز على السبت وسيكون عندي بعد الظهر
شعرت بارتياح فعلى الأقل سيحضر من سيعتني بتوديعي في الليلة الأخيرة لي

السبت 04-07- 2022
الساعة الواحدة ظهرا

سألني السائق الى البيت أم الى الشركة ، كان معتادا ان ينقلني الى الشركة وهو ينتظرني على بوابة الخروج في مطار بغداد الدولي

لا البيت ولا الشركة ...الى مستشفى الشفاء-

التفت نحوي مستغربا

صديقي أبو حكمت ، انت تعرفه ، في المستشفى-

تعرفت على عبد الستار مجبل وأنا في الثالث المتوسط ، كنت أشارك في مظاهرة في بغداد للتنديد بالعدوان الثلاثي على مصر ،كنت مندفعا أهتف بحماس وأتقدم نحو حاجز الشرطة ، أمسك بيدي شاب طويل القامة جاد الملامح

لا تقترب من الشرطة فهم الان مستفزون-

ثم ماذا ؟-

ثم يعتقلوك....أنت في مظاهرة منضبطة-

أعجبتني كلمة منضبطة وحرصه على سلامتي

كان يتصرف وكأنه أحد المسؤولين في قيادة ظاهرة ،بعد المظاهرة التي فرقتها الشرطة ذهبنا الى مقهى البرلمان ،كان النقاش السياسي يطغي على صوت فرقعة قطع الدومينو وهي تنزل بقوة على الطاولات الخشبية ،واكتشفت إن عبد الستار يمكن تصنيفه مع اليسار في حين كنت اعتبر نفسي مع التيار القومي ...ومع توطد علاقتنا اكتشفت انه غير منظم لأية حركة سياسية ولكنه من المثقفين الماركسيين ،مع هذا بقينا أصدقاء ...كان يسكن في كرادة مريم وكنت في الزوّية التي كانت في حينه بساتين وطرق ترابية كان هو في الكرخ وكنت في الرصافة ولكن المسافة بيننا لم تكن بعيدة نسبيا

دعوته لزيارتنا ...بسرعة استطاع ان يعقد صداقة مع والدي في حين كان أخي الصغير مأخوذا بسلاسة عرضه للوضع السياسي ولتفسير ه لتطور المجتمعات الإنسانية

حين التحقنا بالجامعة كان هو في كلية الآداب قسم الاقتصاد وكنت في كلية الهندسة....وفي خضم الخلافات السياسية الحادة بين اليسار والتيارات القومية في أروقة الكليات في جامعة بغداد وحتى في المدارس الثانوية وعلى مستوى المقاهي وتجمعات الشباب في احياء بغداد، لم تتأثر علاقتي بعبد الستار، كنا نلتقي أسبوعيا في مقهى البيروتي على دجلة نشرب الشاي ونناقش بعض جوانب سياسية ولكن بهدوء ، وكانت امي تسألني دائما عنه

ما اخبار صديقك؟-

بخير-

كنت اعرف انها تعني عبد الستار

لماذا لا تدعوه للغداء معنا؟-

وكان يحضر بإلحاح مني

توقف السائق امام باب مستشفى الشفاء الأهلي ،تركت السيارة مسرعا
اين غرفة المريض عبد الستار ثجيل رجاء؟-
تطلعت موظفة الاستعلامات في كشف المرضى وحين أعلمتني برقم الغرفة لحظت في عينيها لمحة أسف جعلتني أشعر بأن الامر لا يخلو من خبر لا يسر
كان السرير خاليا ،قالت ممرضة بالانكليزية
هل تبحث عن ستار-
نعم-
اسفة ان اخبرك إنه توفي ،هل أنت رياض-
نعم-
لقد ترك لك هذه الرسالة-
كانت الرسالة بالانكليزية ولكن عليها توقيعه وتوقيعان مع الأسماء والتاريخ والوقت
لقد كتبتها لأنه كان يملي علي وأنا لا احسن الكتابة باللغة العربية-
أنا عبد الستار ثجيل فرحان العبيدي املي هذه الوصية على الممرضة))
في 46الهندية في مستشفى الشفاء الأهلي ببغداد حيث ارقد بالغرفة رقم الطابق الثالث إثر إصابتي بحادث سير ،وأرجو من كافة الجهات الرسمية وغير الرسمية ذات العلاقة العمل بموجبها
1- أوصي برصيدي النقدي بحسابي لدى مصرف الرافدين فرع شارع فلسطين الى دار الايتام في الكرخ
2- الشخص الوحيد المخول باستلام اثاث بيتي الكائن في شارع فلسطين قرب مدرسة الكرمة الابتدائية هو صديقي المهندس رياض إبراهيم أحمد وله الحق بالتصرف به كما يشاء
3- يحق لصديقي رياض إبراهيم أحمد بيع المشتمل الذي املكه في شارع فلسطين في بغداد وتوزيع ثمن البيع على الجمعيات الخيرية
4- أوصي صديقي رياض ابراهيم أحمد بأن يتولى اجراءات الدفن بكل ما ((تستلزمه
أين استطيع أن أراه-
قادتني الى الطابق الأسفل ثم الى غرفة مبردة ،قال الحارس

لابد من موافقة إدارة المستشفى-
بعد سلسلة من الإجراءات تقرر تسليمي الجثمان في اليوم التالي
قررت ان أعمل لصديقي توديعا يليق به ،طلبت من موظفي الشركة ان يحضروا بسياراتهم الى المستشفى .كما نشرت نعيا بثلاث صحف يومية واعلمت أصدقائي كافة

،أعطيت الوصية الى محامي الشركة لإعطائها الصفة الرسمية القابلة للتنفيذ في مجلس العزاء الذي كان مهيبا فقد حضرت أعداد كبيرة من أصدقائي ومعارف عبد الستار والذين عمل معهم ،تقدم رجل بجلابية وراءه ثلاثة اشخاص قال بأن الفقيد صاحب فضل كبير علية وحيث أني من يقوم بتقبل العزاء فإنه يرجوني أن يتكفل بكافة المصاريف كما فعل مع المستشفى، قلت له لقد تكفل الفقيد بذلك ونحن نصرف من ماله ،لم أسأله كيف تعرف على عبد الستار ، قال ،حسنا اسمح لي إذا أن اقدم لكم ثلاث خراف وكيس رز ،وصفيحة زيت للعشاء وآمل ألا تخيب رجائي

في اليوم التالي ذهبت الى المشتمل الذي يسكنه عبد الستار ، كانت الواجهة رخامية بلون رمادي لامع والابواب الخشبية بارتفاع اكثر من مترين ونصف وكانت الاكر ذهبية ، في المدخل سجادة يسود فيها اللون الأزرق ،في الصالون لوحة كبيرة لكاندنيسكي حيث تتداخل المثلثات لتعطي انطباعا بتجريدية ملتبسة، توقفت قبل أن أدخل غرفة النوم ، تملكتني مشاعر مختلطة وأنا أشم رائحة عبد الستار وكأني أحاول ايقاظه من النوم.

جنب جهاز الكومبيوتر مغلف مفتوح ، مقاربة في النظرية النقدية بين ماركس ، حسنا يا صديقي سيطبع 2022وكينز، وتحتها الدكتور عبد الستار ثجيل مارس . وفي دار النشر التي تولت كتبك في القاهرة

وصلتني مكالمة هاتفية من حسن ، كان في صوته كمية من الحزن وهو يسأل هل حقا مات والده ...صديق هاتفه معزيا بعد أن قرأ النعي في الجريدة العراقية ، قال بأنه سيحضر غدا لأن عليه تسليم المشروع الذي يتولى تطويره ،قلت له بإمكانه أن ، يأتي مباشرة الى بيتي ،قال يفضل أن يزور المشتمل أولا ثم المقبرة

قلت له حسنا يابني سأنتظرك في المشتمل وبعدها نذهب لزيارة الفقيد، تركت كل شيء على حاله عدا مسودة الكتاب فقد سلمتها لمسؤول العلاقات العامة في الشركة

وطلبت منه متابعة طباعة ونشر الكتاب وأعلمت قسم الحسابات بالتعاون معه وتسديد كلف ذلك

كنت انتظر في حديقة المشتمل الامامية ، كان للفقيد ذوقا رفيعا في تنظيم الحديقة ، الى السياج على الشارع شجرة برتقال ثم شجرة (طرنج) ثم شجرة زيتون ،الى السياج مع جيرانه نخلة برحي جلب فسيلتها من البصرة ،الى الشريط الممتد مع جدار البيت شتلات ورد الجوري بالوان متعددة وفي الزاوية ملكة الليل معرشة على حوامل معدنية ثم الى الجدار

كنت أستظل بنخلة البرحي حين توقفت سيارة المطار أمام البيت ، شارعت الى فتح الباب، كان حسن بوضعية مغايرة تماما لما هو عليه عادة ،كانت لحيته مبعثرة الشعيرات تنتشر على خديه فيما شعره الكستنائي المبلل بعرق تموز قد أصبح كتل متباعدة تضفي على ملامح وجهه مسحة بؤس مقترنة بحزن عميق ،كان مرتبكا ومشوشا ، من الواضح إنه عانى من حالة سهر خلال اليومين الماضيين، احتضنني وانخرط في نوبة بكاء حاد ،سحبته الى الداخل وأغلقت الباب ،حين صعدنا الى الطابق العلوي حيث غرفة والده توقف عند الباب وبدأ يجيل النظر في أرجائها وكأنه يحاول أن يستوعب مناظر يراها لأول مرة ،وقف عن مجموعة من الكؤوس التي فاز بها عبد الستار أثناء دراسته الثانوية والجامعية ،كان يعشق موضوعين في حياته القراءة أولا والرياضة ثانيا ، في دراسته الثانوية فاز ببطولة متر ، وفي الجامعة كان ولأربع 400تربية بغداد لثلاث سنوات متتالية بساق .... سنوات بطل التنس

قال حسن -الكؤوس وكتبه سأحتفظ بها ، يجب أن يعرف أحفاده من هو جدهم

.لقد خولني التصرف بالمشتمل والاثاث ولهذا سأحزم لك ما طلبته-

عمو رياض أعرف إنه لا يثق بأحد غيرك ومن جانبي أترك لك حرية التصرف-

شكرا-

بعد استراحة صغيرة ذهبنا الى المقبرة ، لم يبكي كما توقعت ،جلس على القبر وقال -لقد تركناك وحيدا أنت الذي لم تتركنا أبدا ،أعرف إنك تسامحنا كما كنت تفعل دائما

قلت- ستأتي معي الى البيت مدة بقاؤك في بغداد

لا ....سأبقى في المشتمل ثلاث ليال-

سأكون معك فليس من المستحسن بقاؤك وحيدا لأن تداعي الذكريات وأنت في - هذه الحالة قد يسبب لك مشكل صحية كالضغط مثلا

لم يعلق

حين عدنا عرجنا على البيت لأخذ ملابس للنوم ،ظل حسن صامتا وكأنه فقد الإحساس فيما حوله

جلس على الكرسي الخشبي الهزاز في غرفة نوم أبيه ،لم أشأ أن أقاطع خلوته فهو سيسترجع حالته الطبيعية بعد أن يعبر مرحلة الحزن التي تأسره الان ، ربما يكون الصمت عاملا مؤثرا في ذلك ، قال حسن

أود أن أنام-

حين قمت لأرتب السرير

قال -سأنام على الأرض بجانب السرير

أخرجت بطانية من تحت السرير ووسادة

سأكون في الصالة تحت ...ربما اطلب بعض الطعام ،هل ترغب بشيء-

لا ..ولكني أفضل قطعة خبز ولبن وتمر-

سأوفر كل ذلك بعد دقائق -

،نزع حذاءه وتمدد على الفراش ، وأنا أغلق الباب بهدوء كان ينام بعمق

أي حزن حقيقي يحمله حسن وهو يغفو عند سرير أبيه؟ ، وأية ذكريات تختزنها ذاكرته ويود ألا تهرب منه .

ما قبل ذلك

21 آذار 1961

لم يكن مخططا له أن تكون مجموعات طلابية من اربع من كليات جامعة بغداد في 1961 اذار 21منطقة الصدور شمال بعقوبة في

عشرة باصات ومجموعة من السيارات الخاصة تزدحم في امتداد المجرى الحصوي، ربما خمس مئة من الطلبة بنات وشباب يتوزعون بمجاميع مشتركاتهم فكرية او اثنية ، الطلبة الكرد يدبكون على أنغام كردية وهم بملابس فولكلورية بالوان تضفي ،على منظر المجرى العريض الرقراق وصوت الماء وهو يعبر الحصى الذي يعترضه ، بهجة ملفتة

الشيوعيون يتوزعون حلقات تغني للحزب وللأممية ، ومجموعات صغيرة تناقش الوضع السياسي فيما مجموعات متفرقة ترقص (الجوبي) يتوسطها ضارب طبل كبير وعازف ناي شجي

الماء المتدفق فوق القاع الحصوي يصدر صوتا ناعما وهو يتكسر في المجرى ويتناغم مع ضحكات الفتيات وهن يتدافعن فوق الحصى بمرح يعكس شعورهن بالتحرر من قيود المجتمع

حين قرأت الاعلان عن السفرة في مدخل كلية الهندسة ذهبت مسرعا لأخبر عبد الستار ، لموافقته على المشاركة

قال-نحن أيضا سنذهب

قلت- حسنا سنذهب بسيارتي

، كانت لادا روسية اشتريتها قبل شهرين

قالت أمي -سأشوي لكم دجاجة بالتنور وعشرة أرغفة أفغانية فقد يشارككم اخرون

قال عبد الستار -الخس والفواكه مسؤوليتي فنحن اهل كرادة مريم اعرف بنوعية الخس

ونحن نتبع باصي كلية الهندسة كانت الطالبات تعاكسنا وهن يخرجن رؤوسهن من الشبابيك ويرمين بقشور البرتقال ،في داخل الباصين تسود أغاني عبد الحليم حافظ تتخللها أغان ليوسف عمر ..(منك يالسمر)

وفي الطريق كانت بعض الباصات لكليات اخرى تتوقف لشراء الخس المعروض على عربات خشبية على امتداد الشارع بعد بضعة كيلومترات من شمال بعقوبة

ونحن ننعطف الى منطقة الصدور كانت مجموعة من الباصات قد وصلت قبلنا، البعض افترش الأرض الحصوية القريبة من الماء وأخرون مدوا أفرشة خفيفة وتحلقوا يصفقون مع أغنية لأم كلثوم تصدح بها طالبة بأقراط طويلة تتأرج حول رقبتها وهي تنسجم من كلمات الاغنية

أنزلت السلة التي هيأتها أمي ، نزعنا أحذيتنا ودخلنا المجرى المائي البارد الذي اشعرنا بقشعريرة خفيفة ...كان عبد الستار يتطلع نحو طالبة كانت تقف وسط المجرى تاركة أطراف تنورتها القطيفة لعبث الماء

كانت طويلة القامة تنتصب وسط المجرى وهي تستمتع بالماء الذي يتدفق مغطيا أعلى الكاحلين ،كانت تشد شعرها الى الخلف بضفيرة تتلى على ظهرها وتتأرج ، كلما تحركت

فعلا هي مميزة-

قلت ذلك ولكزت عبد الستار الذي لم يعلق ولكنه عاد الى السلة المركونة على اليابسة ،أخرج قنينة كولا صغيرة وفتحها ثم ذهب يخوض في المجرى نحو الطالبة

كان في يدها قطعة خبز تقضمها ببطء ،رفعت بعض الماء بكفها لتشربه ولكنها بدت مترددة ، رمت الماء وتحركت خارجة ، اعترضها عبد الستار

العفو ..هل تسمحين ان أقدم لك هذه القنينة فقد لحظت أنك غير قادرة على مضغ - الخبز ولم تطمئني لماء المجرى

نظرت نحوه باستغراب

فعلا شعرت بالغصة-

حسنا ستساعدك الكولا-

كان في عينيها مشاعر امتنان ممزوجة بشيء من الاستغراب

قال عبد الستار-انا في كلية الآداب-قسم الاقتصاد

قالت -وأنا في كلية التجارة والاقتصاد -قسم المحاسبة

قال عبد الستار – أسمي عبد الستار ثجيل

ملأت وجهها الطفولي ابتسامة عريضة ، استغربها عبد الستار

هل تعرفيني ؟-

لا ولكن اسمك لا يعرّفك على نحو متناغم-

كيف ؟-

أنت رشيق وتصرفك خفيف فلماذا تقبل ان تكون (ثجيل)-

معك الحق وشكرا على مجاملتي ونحن نحمل أسماء لم نستشر بها-

ليس في الموضوع مجاملة تصرفك المهذب يتقدمك ، أما أسمي فهو انتصار - الكرخي

من هنا بدأت الحكاية

واستبدلت كافيتريا كلية الهندسة او الآداب بكافيتريا كلية التجارة والاقتصاد لقضاء وقت مشترك في الشواغر الدراسية

تقع كافيتريا التجارة في صالة كبيرة في الحديقة الخلفية للكلية وأصبحت الطاولة في أخر الصالة الموضوعة قرب الشباك الذي يشرف على الحديقة مكانا مفضلا

للقاء الذي بدأ أسبوعيا وانتهى كل يوم تقريبا ،كان عبد الستار يقول :ما أثقل يوم ،الجمعة

فقد رفضت انتصار اللقاء خارج الكلية

كان عبد الستار الابن الذكر الوحيد لعائلة لديها ثلاث بنات اكبر منه ،توفيت امه وهو في الرابعة ولكن أباه لم يأت بامرأة أب قد تسيء معاملتهم وفضل ان تعتني به اخواته

كان يقول عشت مدللا فقد كنّ الثلاثة يتبارين للاعتناء بي لإرضاء أبي ،ربما هذا ما جعلة رقيقا في تعامله ولكن دون ان يسمح للأخرين دخول فضاءاته الخاصة وأضفى على تعامله شيئا من الدقة والتدقيق

حين يكون الجميع امام التلفاز يتابعون مسلسلة مصرية كان هو يدلف الى غرفة في الطابق الأعلى حوّلها ابوه الى مكتبة برفوف صنف عليها أكثر من الف كتاب حسب المواضيع ،كان قد بدأ ادمان القراءة وهو في الصف الرابع الابتدائي ،كان يستعير كتب ارسين لوبين وروبن هود بأربع فلوس للكتاب من مكتبة على الطريق للمدرسة، ثم انتقل الى اسكندر ديماس الكبير وعبد الحليم عبد الله ، وفي الدراسة المتوسطة انتقل الى مكتبة ابيه وتعلق بالروائيين الروس حيث خصص لها أبوه رفيّن على امتداد ستة امتار

قلت له -كيف تعلقت الى هذا الحد بانتصار ؟

لا اعرف ولكني اسميه الحب المتكامل-

في المنطق يمكن أن نسميه الحب المطلق-

مهندس مثقف-

هل تعلم اني في مراهقتي كنت شاعرا وقد قلت شعرا في عدد من الفتيات - !!!والغريب انهن لم يصدقن كل ما كتبته، ربما كنت أفتقد الى حرارة الصدق

حين تعرضت انتصار لنوبة انفلونزا حادة الزمتها البيت كان عبد الستار يذهب الى كلية التجارة ليجلس الى ذات الطاولة وبعد ان يتناول كأسي شاي يغادر الى كليته في الاعظمية

قلت له -هكذا عمل أرغون في باريس ،الفرق إنه نظم ديوانا لعيون إلزا ولكنك ، تفكر بالغاز شوم بيتر الاقتصادية ويشغلك البحث عن حلولها عند ماركس

كانت السنة الدراسية تقترب من نهايتها ،وكان عبد الستار وانتصار يسابقان الزمن في توطيد علاقتهما، الجو الجامعي في بغداد محتقن وعلى صعيد الكليات كان الفرز للمجاميع الطلابية قد تركز في مجموعتين رئيسيتين المجموعة الأكبر كانت تضم انصار اليسار بحكم تسيد الحزب الشيوعي للشارع العراقي وعلى الجانب الاخر كانت مجاميع التيار القومي والإسلامي حيث يصطف حزب البعث وحركة القوميين العرب وحزب التحرير أما الطلبة الكرد فكانوا يشكلون كتلة تراقب الوضع باهتمام، كان التيار القومي الإسلامي اكثر فاعلية على الساحة الطلابية بحكم اعتماده على العنف ووضع أساليب مبرمجة للترهيب

، وكان لا بد لهذا الحراك المتشنج أن ينعكس على مجمل العلاقات الطلابية

في كلية التجارة والاقتصاد كان رأس الحربة في الصدامات للتيار القومي ثلاثة عناصر ممن يمتهنون الشجار ويفتعلونه

كانت انصار تنتظر عبد الستار حينما تقدم احد أولئك الثلاثة ،كان طويل القامة ، بعضلات نافرة تحت قميص ابيض بنصف كم

قال- ارجو أن تسمحي بحديث قصير زميلتي

قبل أن ترد عليه سحب كرسيا وجلس

وضع كوعيه على المنضدة بحركة مستفزة – لن أضيع وقتك فأنت حتى الان زميلة محترمة

فكرت انتصار، المقدمات تشي بالنتائج

تابع عمار -أنت في الجانب الاخر ،الجانب المعادي

معاد لمن ؟-

لنا نحن-

ولكن من هو الجانب الذي أقف معه في رأيك-

الطالب الذي يقابلك والذي يأتي من كلية الآداب الى التجارة-

فهمت ...ولكنه ليس مع أي جانب ،ولم يحصل ان تحدثنا في السياسة-

ربما اتفق معك في انكما لم تتحدثا في السياسة لأن مرحلة الغرام في بداياتها-

أرجو أن تنتبه زميلي عمار-

باختصار عليك قطع علاقتك به وإلا سنقطع رجليه-

حين اتصلت انتصار به لتعلمه بما حصل قال

سأحضر غدا بعد الحادية عشر-

شعرت بخوف يعصر قلبها ولكنها لم تعارضه

عند اجتياز عبد الستار الباب الامامي لكلية التجارة وتوجهه نحو المدخل الرئيس لحظ هرولة طالبة الى داخل الكلية وحين اجتاز الدرجات العريضة الأربع كان عند نهاية الممر الثلاثة يتقدمهم عمار ، فكر انهم سيمنعونه من الدخول ، أبطأ في سيره واستعد للمواجهة ،

قال عمار – كم الساعة لديك ؟

اسف فأنا لا احمل ساعة-

لماذا لا تكون مؤدبا ....حسنا يمكن أن نعلمك الادب-

تحلق الطلبة بمستطيل أخذ شكل الموقع ، وتنبه عبد الستار الى إنه يجب ألا يلتحم بهم وكان يعرف طريقتهم في المواجهة من مراقبة بعض الصدامات التي كانت تقع بينهم وبين الشيوعيين ، يعرف كرياضي انه الاخف والاسرع في الحركة ،حين تقدم عمار تاركا زميليه كجناحي هجوم لاحق لم يتردد عبد الستار بتوجيه لكمة سريعة لوجهه فاندفع سيل من الدم من انفه وفمه ، صرخت الطالبات واندفع العديد من الطلبة لحجز المتقاتلين وتراكض رجال الامن

في الأسبوع التالي كانت حفلة خطوبة ضيقة في بيت انتصار

1963

فبراير 08

كان هناك حدث مهم فقد نقلت انتصار الموظفة في البنك 1963-فبراير 07في المركزي الى مستشفى الولادة في الكرخ ،كنا نستعد أنا وشقيقتي لزيارتها يوم فبراير ، ونحن نحزم الهدية التي اشترتها شقيقتي من شارع النهر 08الجمعة سمعنا هدير الدبابات وهي تخترق الشارع باتجاه باب المعظم ، ثم جموع من الشباب مسلحة برشاشات صغيرة تحتل الشارع وهم يرتدون ملابس موحدة من الكاكي

)13كان مسلحو حزب البعث قد انتشروا في بغداد وهم مسلحون بالبيان رقم (

الذي خولهم تصفية أعداء الثورة، بعد ان استمعت الى البيان فكرت بعبد الستار ، لقد وجدت ان براكين الحقد الشخصي والفوضى العارمة ستسمح لمجموعات مسلحة بعمليات قتل واسعة

قلت لشقيقتي لا بد من الذهاب الى المستشفى ، وضعت شدادا على رأسها ووسادة في المقاعد الخلفية وقلت لها مثلي انك حامل وانك تعانين من الام حادة ، مسحت عن وجهها المكياج ونظفت عينيها من الكحل

كانت مجاميع الحرس القومي توقفنا وبعد مراجعة الهويات يسمحون بالمرور، في غرفة النزيلة انتصار محمود، كان عبد الستار نصف غاف على كرسي حديدي وكانت انتصار نائمة يبدو عليها الإرهاق والطفل يناغي نفسه وهو مغمض ،العينين، في الخارج يتم اغتيال الحياة وهنا تبدأ حياة جديدة مفعمة بالحيوية والامل

فتح عبد الستار عينيه وتمطى ليكتسب النشاط ، بدى عليه الاندهاش وهو يرانا أمامه ، شرحت له ما يقع وان عليه ان لا يذهب الى منزلهم حتى تتوضح الأمور ، لأني اعتقد إن عمار لن يتركك

سأرتب لكم النقل الى بيتنا بسيارة اسعاف المستشفى-

لم يعلق وفتحت انتصار عينيها

ماذا يحدث ؟-

لا شيء ورياض سينقلنا الى بيتهم بسيارة الإسعاف -

لم تستوعب انتصار الموقف وحين شاهدت بعض الشباب يمرقون امام الباب بملابس الحرس القومي وهم يحملون أسلحتهم الصغيرة كررت :ماذا يجري؟

انقلاب عسكري صباح اليوم-

ماذا ؟ قالتها بعصبية-

البعثيون استولوا على السلطة وهم يبحثون عن عبد الكريم قاسم-

لم يكن تدبير امر سيارة الإسعاف صعبا بعد ان تفاهمت مع السائق أولا ومع موظف الاستعلامات ثانيا

كنت أقود سيارتي أمامهم وكانت نقاط التفتيش تكتفي بفتح باب السيارة والتأكد من المريض وحالما يرون المرأة والطفل يسمحون للسيارة بالمرور

في البيت افرغنا غرفة لهم وقد استقبلهم والدي بترحاب ، شرحت لهما المخاطر التي قد يتعرضون لها إن ذهبا الى البيت

قالت انتصار -أنا والطفل بحاجة الى بعض الملابس

قلت - سأقوم باستطلاع ما يحيط بداركم أولا

على الرصيف المقابل للباب الرئيس لبيت عبد الستار كان يجلس شاب بلباس الحرس القومي وبين ساقية رشاش بور سعيد الأسود الصغير ، كان الشارع خاليا يسكنه ظلام كئيب وسكون شامل ، وبدت الدار المظلمة موحشة

مرحبا-

مرحبا-

قالها بضجر فقد بدا متعبا فيما موجات برد تدفعه الى وضع ذراعيه حول صدرة وشدهما بقوة

لماذا لا تدخل الى الدار ؟-

أنا بانتظار صاحبها لأنه مطلوب من الحزب-

واضح إنه لن يأتي فالوقت متأخر الان ، هل ترغب أن اوصلك الى مكان ما ؟-

بدا مترددا

ولكن قد لا أكون على طريقك ؟-

لابأس ، قد تمرض اذا بقيت-

نهض بتثاقل

حين سألته هل يعرف صاحب الدار أجاب بالنفي ثم تابع

في الساعة الرابعة عصرا حين بدأت حراستي كان يقف بالقرب من الدار احد - طلبة ثانوية المنصور ومن شعبتي ، ومن باب الفضول سألته إن كان يعرف شيئا عنه ، أخبرني انه يسكن مع زوجته وهو لا يختلط بأحد كما إنه يذهب صباحا الى عمله في وزارة التخطيط وزوجته تعمل في البنك المركزي وحينما يعودا قليلا ما يخرجا عدا أيام الخميس ،حيث يذهبان سوية ربما لزيارة اهليهما أو الأقارب

بعد ان اوصلته عدت مسرعا الى دار عبد الستار ، لم افتح الضوء وصعدت الى غرفة النوم ، على وجه السرعة جمعت بعض الملابس وشنطة صغيرة قالت انتصار انها تحتفظ فيها بما لديهم من نقود إضافة الى بعض الحلي ، تذكرت حقيبة ،ملابس حكمت

في الصباح وكان يوم الجمعة سألت عبد الستار كيف سنتدبر أمر غيابك عن العمل ، قال بأنه فكر بذلك ويعتقد إن ابن عمه لؤي الذي يعمل رئيسا لقسم الجراحة في مستشفى المحمودية قد يساعده

لم استحسن الفكرة فمثل هذه المهام يجب ان تنجز خارج الأطر الرسمية، قلت له، سأتدبر الموضوع اليوم

حين ذهبت الى دار جبر قالت ابنته انه في المقهى على رأس الشارع، كان يجلس مع شلة من أصحابه ، جلست غير بعيد ، طلبت شاي حامض وحين التفت سلمت عليه

، قام من عند المجموعة وحضر

!!! السلام عليكم ، اعتقد انك تهت في منطقتنا-

لا فأنا هنا من أجلك-

اعتدل في جلسته ، خمّن إن الامر فيه رائحة النقود

حين شرحت له الامر قال لنذهب الى البيت

لا شك ان الامر فيه مخاطرة وأنت تعرف الظروف اليوم-

صحيح ولكني أجزم ان صاحبي لا علاقة له بالسياسة ولكن أولاد الحرام كثر-

انت تريد أن أدخله لمدة خمس عشر يوما ثم امنحه إجازة لمدة شهر-

كان جبر كاتب الطابعة في المستشفى وكان قد أدى لي بعض الخدمات ولهذا كنت اثق به

حسنا وكم يدفع صاحبك-

خمس وثلاثون دينارا-

.لا هذا لا يتناسب والمخاطرة....خصم الحديث مئة دينار-

اتفقنا على خمس وسبعين دينارا وسلمته ثلاثين مقدما

قلت لعبد الستار ،أنت موأمنا الان حتي نهاية ابريل حيث ستكون الأمور قد هدأت وعمليات التصفية قد وصلت نهاية مدياتها ،كانت صحة حكمت جيدة ولكنه كان مشاكسا وقليلا ما يهدأ في فراشه

الأيام تمر بسرعة والتعاون بين المجاميع القومية وحزب البعث قد بدأ يتراخى ثم انتقل الى مرحلة من العداء الصامت ولكن الفاعل فقد بدأت الأجهزة الأمنية بملاحقة بعض القيادات القومية سيما حركة القوميين العرب

ومنذ ساعات الفجر الأولى قامت أجهزة الأمن بمداهمة 1963-مايس 25في ، مساكن قيادات الحركة، وفي المساء تم عرض مقابلات مع بعض المعتقلين

كانت الحجة ان تلك المجموعات كانت تخطط لمحاولة انقلابية ،وفي مراكز الاعتقال تم تعرضهم لأعمال تعذيب وحشية

قلت لعبد الستار -بيتي غير امن الان فقد أتعرض للاعتقال

،اعتقد انه لا بد من تغيير السكن وأفكر بابن عمتي في ناحية الهويدر في بعقوبة -

ولكن لابد أولا من معرفة الوضع هناك

مايس وفي تمام الساعة العاشرة 08لم نسرع بما فيه الكفاية ...في يوم الأربعاء دخل غرفتي اربعة من الحرس القومي

المهندس رياض ؟-

نعم-

تفضل معنا، ولكن بهدوء تام-

لم أناقش أو أحتج فأنا أعرف أن لا جدوى ، قالوا سنذهب أولا الى بيتكم لإجراء التفتيش ، كل شيء أصولي فسيكون المختار معنا

لم اعلق ولكني كنت افكر بعبد الستار، وفي البيت كنت قد أخليت المكتبة من الصحف والمجلات والكتب التي لها علاقة بالفكر القومي عموما

حين لم يجدوا ما يمكن ان يساعدهم في اتهامي قرروا الصعود الى الطابق الأعلى، وهكذا اقتيد عبد الستار معي

في الطريق عصبوا أعيننا ولم يتبادلوا أي حديث ، كان صمتا مقصودا لإضفاء جوا من الرعب والخوف ، توقفت السيارة وسمعت صوت صرير باب كبير يفتح ببطء ، قال احد الأشخاص ، جابوهم قال شخص في داخل السيارة ، الصقر لازم يصيد الزرزور...ثم كان ضحك متبادل ، طلب منا النزول بمساعدة من كان معنا من الحرس القومي

انتبها وعليكما السير ببطء لأنا سنصعد ست مدرجات -

بدأت اشم رائحة زهور الجوري المختلطة بروائح مختلفة لزهور الربيع ،فكرت اننا في مزرعة خارج بغداد

..... انتبه-

صرخ شخص ما ومعها تلقيت صفعة حادة وقوية فترنحت فيما سمعت عبد الستار يتأوه بعدها توالت ضربات مختلفة بالكف المضموم وبالكف المفتوح ورفسات بالأقدام

توقف كل شيء ونهضنا من الأرض ، وبدأنا بصعود الدرجات ،شعرت بخيط من الدم ينزل من أنفي الى فمي ولم يكن في مقدوري مسحه فقد كانت يداي مقيدتان الى الخلف

اوقفونا الى جدار بارد وقالوا ، ستنتظرون دوركم بالتحقيق

كنت أشعر بإعياء شديد وبدأ صداع يعصف برأسي ، كان الوقت بطيئا ومرهقا وبدأت ساقي بالارتجاف فجلست الى الأرض و بدأ تيار هواء بارد يتحرك في فضاء المكان

قال عبد الستار-نحن في ممر

لم اسمعه جيدا فطلبت أن يعيد ما قاله ،من الواضح ان لا أحد يقف قربنا وكنا نسمع ،خطى الذين يمرون وههم يقولون ، جابوهم

جلس عبد الستار على الأرض فقد احتك كتفه بكتفي وقال ، لقد حل المساء

قلت -هذا يعني مرور حوالي الثمان ساعات

قال شخص بصوت خشن وبلهجة آمرة : فكوا العصابة عن عيونهما وليصعدا لغرفة الحقيق

الغرفة الي صعدنا اليها كانت واسعة اقرب الى أن تكون صالة ،في الواجهة منضدة مكدس العديد من الملفات ووراءها يجلس عسكري برتبة رائد ، بشرته سمراء يرسل شعره الأسود الى الخلف ، كان يتطلع بعينين جاحظتين ، خلفه على الحائط لوحة من ورق الخرائط الأزرق مكتوب في اعلاها (تنظيمات الحزب الشيوعي) كان الهرم التنظيمي بالأسماء والمراكز ، ومعظمها مؤشر أمام الاسم علامة أكس بالأحمر وخمنت أن العلامة تعني اعتقال الشخص المعني، الى يمين العسكري كان يجلس مسترخيا شخص ممتلئ بوجه متعب ينظر بلا مبالات ، مر بخاطري إني أعرفه، كنت مشوشا ،وكان هناك ثلاثة اخرين في نظراتهم كمية من اللؤم والحقد مخيفة ،فجأة تفتح ذهني ،ذاك الممتلئ مدحت ، كان صديقي ونحن في ، المتوسطة وكما نتبادل قصص روبن هود

قال العسكري-من منكما المهندس رياض ؟

قلت -انا

قال- حسنا ماذا كان دورك في مخطط عملية الخيانة القومية ؟

لا دور لي لأني غير منتم لأية حركة سياسية-

انتبه مدحت ،ترك كرسيه وتقدم نحوي -رياض اية ريح حملتك إلينا شيوعية ام قومية؟

لا الأولى ولا الثانية ، حملتني سيارة الحرس القومي-

دائما سريع الرد -

، أستاذ مدحت انت خير من يعرفني ويعلم اني لا أطيق العمل التنظيمي-

ولكنك كنت دائما عروبي النزعة -

وحزب البعث أيضا عروبي النزعة-

صحيح-

التفت الى الرائد ووشوشه شيئا ما

يقول العقيد مدحت إنك مشمول بالتحقق من موقفك من العملية الانقلابية -
،واسمك لم يرد في التحقيق ولكنك أحد رفاقنا يشتبه بكونك مع حركة القوميين العرب

بشكل عام صحيح ولكن فكريا-

بماذا تصف الحركة الانقلابية وقادتها؟-

قطعا غير مقبول التحرك ضد سلطة الثورة-

حسنا وهذا الذي معك ؟-

صديق تعرض لحادث وزوجته لديها طفل عمره أيام ونحن نعتني بهم-

توجه بالحديث نحو عبد الستار

تقدم ...هذا الهدوء العميق واحد من صفات الشيوعيين-

اسمك الكامل-

... بعد أن استمع الى اسمه قام ينظر في الهيكل التنظيمي على الحائط

أين تسكن؟-

في الإسكان-

أشار الرائد الى شخص طويل القامة ونحيلها سمرته كأنها قطعة صفيح صدأة

جعفر عل تساعدني...الدليل فوق الرفّ خلفك ...دقق الأسماء في حرف العين-

تناول جعفر سجلا ضخما ، وضعه على المنضدة ثو بدأ يقلب الصفحات ،عند حرف العين كان هناك عشرة أسماء...

ما هو اسم الاب والجد واللقب-

رائد سعدون لا ذكر له في تنظيمات الشيوعيين-

قال مدحت – انتظرا في الممر

كانت عيناه خاليتين من أي تعبير

حين هبطنا الى الممر الطويل كان في نهايته غرفة واسعة أطل منها وجهان متعبان قال عبد الستار الأصغر أعرفه قلت تجاهله تماما ،الى اليسار باب

خشبي خلفه كانت المرافق الصحية ،في المقابل كان رجلا ممدا على الرخام الرصاصي ينساب من فمه خيط من الدم يحوم حوله سرب من الذباب ،بدا الرجل عاجزا عن تحريك يديه، كان ممددا بملابسه ...بنطلون وسترة لونها بيج فاتح ملطخة بالدم ، أحد رجال الحرس القومي يحاول أن يساعده في شرب الحليب ، كان يسكب في فمه المفتوح بضع قطرات ولكن الرجل لم يكن قادرا ، على البلع

كانت الساعة العاشرة حين طلب منا أن نذهب الى المرافق الصحية للتخلص من بقع الدم وغسل وجوهنا لتبدو نظرة حين نذهب الى البيت

في السيارة التي تقلنا كان أحد رجال الحرس القومي ، رجل في الخمسين ضئيل الجسم لا يكف عن الثرثرة

قال له عبد الستار -ما قصة الرجل في الممر ؟

هذا عنصر خطر رغم تركه الحزب الشيوعي منذ خمس سنوات، وهناك - شكوك بأنه يسعى الى إعادة تنظيم الحزب ، ولكنه مصر على الانكار،...يحاول الدكتور صباح أن يبقيه حيا

قال عبد الستار ولكن لا يبدو على صباح إنه طبيب

نعم فهو في الخامس في الكلية لكنه شاطر وتعتمد عليه لجنة التحقيق-

1966الهجرة الموجعة

قبل ذلك حصل أمران ، أولاهما إن عبد الستار حصل على الماجستير في التخطيط الاستراتيجي والامن الوطني بامتياز والثاني اني تزوجت ، وكلا الأمرين احتفلنا بهما على النطاق العائلي ،غير إني ذهبت لأسبوع الى البصرة لأنها أنسب مكان في الشتاء ،كما إن فندق المطار مكان مغري لموقعة وللخدمة الفندقية الحرفية فيه ، يكل على شط العرب الذي ينساب غريني اللون وعلى امتداده وبعرض اكثر من مئة وخمسين مترا جزيرة السندباد المفروشة بثيل كثيف ، على الجوانب شتلات ورد بالوان منسقة ،كانت تبدء بالأصفر ثم الأبيض وبعده الأحمر ....كما نقضي أماسينا في الجزيرة عند نخلة لا ترتفع اكثر من ثلاثة أمتار ،كانت ريانة ترتفع ، بشيء من الزهو وهي تنشر سعفها الداكن الخضرة

تم ترقية عبد الستار ليصبح مديرا عاما للدائرة الاقتصادية في 1966في فبراير وزارة التخطيط، كانت الأمور عموما في العراق مستقرة بعد طرد حزب البعث من السلطة بدأ بانشقاق في التحالف العسكري بقيادة عبد السلام عارف وطاهر يحيى التكريتي، وبعدا مقتل عبد السلام عارف وتولّي رئاسة الجمهورية شقيقه العسكري أيضا (عبد الرحمن عارف) ، كان الرجل مسالما ،وحاول أن يضفي على فترة حكمه طابعا مدنيا بعيدا عن الثارات والاحقاد السياسية فعيّن الدكتور ، الحقوقي عبد الرحمن البزاز رئيسا للوزراء

كنت قد حصلت على عقد مع وزارة التخطيط لبناء ملحق للوزارة ،وعند معاينة للموقع قررت أن أزور عبد الستار في مكتبه ، فبعد انشغالنا بالعمل وزواجي تباعدت مواعيد لقاءاتنا الأسبوعية الى فترات طويلة نسبيا

كان مكتبه في الطابق الثامن يطل على نهر دجلة ويكشف مساحة واسعة من النهر وحدائق ابي نؤاس ، كانت واجهتة غرفته زجاجية تتيح له الاطلاع على سير العمل الذي تشغله اكثر من عشرين فتاة ، كنّ عموما مع خطوط المودة ،ويتمتعن بذوق واضح في استخدام المكياج كما كنّ يعملن بصمت ، رحّب عبد الستار ، قال-نشرب القهوة أولا ثم نذهب لمطعم الوزارة

كان المطعم في الطابق الحادي عشر يبعث على الاسترخاء ،واجهته الزجاجية تسمح برؤية على دجلة ومقاعدة الجلدية مريحة ، شعرت بأن مثل هذا المكان هو ، الوحيد القادر على بث روح الحماس للعمل

سألت عبد الستار -أنت في الجنة يا رجل

كان يرفع كأس الشاي الى شفتيه ، توقف وأعاده الى الطاولة

في المظهر نعم-

استغربت إجابته وتطلعت اليه مستفسرا

نحن في وزارة يفترض فيها ان كل شيء يجري الاعداد له وفق دراسات معمقة - ولكن ما يجري هو شعارات سياسية وليست خطط تنمية، ان ما تنشره صحيفة صوت العمال افضل مما يقدمه خبراء التخطيط ولهذا فإن العمل في الوزارة مضيعة للوقت

توقف وهو يحاول أن يتعرف على تفاعلي معه ، لقد خمنت إن وراء هذا الحديث ،قرارا ما ، أعرف عبد الستار حين يكون رأيا عن قضية تشغله

وما هو الحل بتقديرك ؟-

أدرس وعلى مهل مغادرة العراق ، أنت علم إن مسؤوليتي العائلية أصبحت - أكبر بعد ابتسام ، والسفر قد يكون صعبا

إذا-

افكر ان اغادر لوحدي وبعد الاستقرار يتبعوني ، ويمكن أن تدبر انتصار امرها - مع الأطفال ، فهي في بيت بدون ايجار ولديها سيارة ، كما ان لدينا رصيدا لا بأس به ، والاهم من كل ذلك انت ومنى لن تنقطعا عن زيارتها

شعرت بأسف شديد فعبد الستار هو صديقي الأقرب ومعه فقط استطيع أن أتحدث ،عن مشاكلي وكان يجد الحلول باستمرار

لاشك أنت الأعرف ولكني أرى إن الاستقرار السياسي والأمان التي يمر بهما - العراق اليوم ربما سيفضيان الى تغير كبير

ما يلوح لي عكس هذا ...قبل سنة حاول عارف الكبيسي القيام بانقلاب - عسكري و الانقضاض على السلطة ، وهو رئيس الوزراء ،هذه العقلية لن

تترك العراق بأمان ، وضعف عبد الرحمن عارف سيشجع القوى التي تؤمن بثبات بعملية الانقلاب الى تجميع قواها واستلام السلطة وأنا غير مستعد أن أعيد تجربة 1963

لم يخطر هذا ببالي ، ولكن كيف سترتب ذلك؟-

الظروف السياسية المستقرة حاليا تسمح بخروج آمن ،بمعنى سهولة الحصول على جواز سفر وكذلك الحصول الى تأشيرة دخول للعديد من دول العالم ، ولأني أود الاستفادة من خروجي فقد راسلت عددا من الجامعات البريطانية للحصول على قبول لدراسة الدكتوراه وقد وافقت جامعة (سوانزي) على ذلك شريطة الحصول على شهادة معترف بها باللغة الإنكليزية ، لغتي الإنكليزية مناسبة تماما وسأرتب الموضوع مع المعهد -

انت لست متخذا للقرار ولكنك قطعت خطوات عملية مهمة ، بالبركة وستكون انتصار والطفلين موضوع اهتمامنا ويمكنك ان تطمئن وتنصرف لدراستك -

في الحقيقة أنا أضع في حساباتي عدم العودة الى العراق بعد انهاء الدراسة وسأحاول العمل هناك ، ولهذا فانت أيضا المسؤول الاهتمام بالبيت بعد سفر انتصار -

كثرت المهام!!! -

ضغطت على يده وقلت-بالطبع

ودعته وعدت الى عملي في موقع عمل الملحق

الشركة الي انِشأتها للأعمال الهندسية والانشاءات بدأت تنمو بشكل مضطرد وتوسعت رقعة المساحة الجغرافية التي نعمل بها لتمتد الى معظم وسط وجنوب العراق بسبب دقتنا في العمل والمهارة المتميزة في تصاميمنا التي كانت تعدها زوجتي(منى) وكان هذا عاملا مهما في التخفيف من فراق عبد الستار الذي أدى امتحان (الأي لفل) في المعهد البريطاني ، ويوم سفره كنا وعائلته في مطار المثنى لتوديعه ، كانت انتصار تغالب الدمع المترقرق في عينيها كي لا ينزل على خديها فيما حكمت متشبث بأبيه يحدق في وجهه ، فجأة قال – بابا لماذا انت ذاهب الى خالة لندن ...مريضة

قال حكمت -لا ولكنها لا تستطيع ان تحضر

بوسها واعلمها إني أحب خالة لندن-

كانت رسالة عبد الستار الأولى بعد عشرة أيام من سفره ، قال بأنه التحق بالدراسة مباشرة وإنه اكبر الدارسين سنا وان وفرة المصادر في مكتبة الجامعة تسهل مهمة اعداد الاطروحة ،كما قال بأنه ذهب مرتين الى(الهايد بارك) ليشهد ويستمع الى الخطباء وإنه معجب بمتحدث من نيجيريا فهو سريع الاستجابة وسريع النكتة مما يجعل عدد المتحلقين حوله هو الأكبر في الحديقة

قالت انتصار -رسالة عبد الستار أعادة لي توازني ،لأنه يتابع دراسته بجدية ،عالية كما فصل كل نشاطاته في(سوانزي)

كتبت له أطمئنه على العائلة وشعوري بالوحدة في بغداد كما اعلمته إن الشركة الهندسية التي بدأت بي وبزوجتي تضم الان مجموعة من المهندسين ولدينا اعمال في مناطق متفرقة من العراق

قال بأنه ترك القسم الداخلي للجامعة واستأجر شقة صغيرة على البحر ، وفي الليل يشجيه أن يستمع الى موج خليج سوانزي الذي يسابق بعضه نحو الشاطئ ، وأحيانا يذهب الى مقهى على الشاطئ حيث يسترخي مستعيذا ما كتبه ، أو يقرأ في كتاب استعاره من المكتبة

في الكافيتريا كان يجلس مع طالب من البرازيل يتحدثان عن خصائص بلديهما حين تقدم منه طالب اعتذر عن مقاطعتهما لأن لديه سؤالا لعبد الستار ،اعتذر الطالب البرازيلي ،قدم نفسه ...انا غازي الشمري قبل يومين حصلت على الدكتوراه في الفلسفة وأستعد للعودة الى العراق ،أعلمني أحد الأصدقاء بأنك غادرت العراق منذ فترة قريبة ولدي سؤال عن افضل السيارات التي يمكن بيعها بسهولة وبسعر مجد ؟ حين نظر اليه عبد الستار مستغربا ، تابع ،انت تعلم إن من حق الطالب حين يعود ان يدخل سيارة دون أن يدفع الضرائب، ولأني قضيت خمس سنوات بعيدا عن العراق فإني افتقر الى المعلومة

دعاه عبد الستار الى الجلوس

إذا كنت ترغب في بيعها بسرعة فالسوبر صالون هي الأفضل أما إذا كنت - تستطيع الانتظار لمدة قليلة نسبيا فالمرسيدس

بدأ غازي يفصل في أنواع السوبر صالون تويوتا والمرسيدس ثم قال بأنه يعتقد أن (الشبح) هي الأفضل

قرر عبد الستار ان يتوقف عن أخذ الموضوع بجدية فالطالب العائد يعرف سوق بغداد جيدا

بعد أربعة اشهر بدأت رسائل عبد الستار تأخذ منحا آخرا، قال بأنه انضم الى جمعية الطلبة العراقيين في بريطانيا وانه يتقدم في علاقاته بعد ان حضر المؤتمر السنوي للجمعية في مدينة براد فورد، وطرح اثناء مداخلاته مقترحات حول تطوير العمل الطلابي ، ولكنه رفض الترشيح للحزب الشيوعي العراقي حين فاتحه أحد طلاب جامعة لندن، حين اعلمته برسالة طويلة إن الجمعية هي ربيبة الاتحاد العام لطلبة العراق ، والاتحاد هو ذراع الحزب الشيوعي في الحركة الطلابية ،فلماذا تتحرج من الالتحاق بالحزب الشيوعي ،قال هو يعرف هذا جيدا ولكنه لا يتحمل الالتزام الحزبي ، وعلّق (التنظيم الطلابي منظمة ليبرالية تسمح بالتهرب من الالتزام)

وقال إنه بدأ يحضر اللقاءات الخاصة للفيلسوف البريطاني برنارد رسل بعد ان حضر ندوه له حول نظرية المعرفة ، وحين عرض عبد الستار مداخلته بعد انتهاء رسل من حديثه أبدى بعض الحاضرين استحسانهم وعرض علية أحد أعضاء مكتب سكرتارية رسل من الطلبة العراقيين الحضور الى الندوات الخاصة ، قبل عبد الستار مع تقديره لاهتمام الطالب العراقي

انهى مناقشة اطروحته (أسعار النفط والتنمية 1968في ابريل من عام المستدامة في البلدان العربية المنتجة) ، حصل على تقدير ممتاز مما أهله ان يتقدم بطلب الانتساب للجامعة ، وبعد تأييد أستاذ المادة ورئيس قسم الاقتصاد في جامعة سوانزي أصبح عبد الستار مدرسا مساعدا

قال في اتصال هاتفي بانه سيعود وإنه طلب من انتصار أن تتصرف بالأثاث لأنه سيأخذهم الى ويلز فهو الان يمكنه أن يرتب أمر العائلة ، طلب مني أن اتولى موضوع ايجار البيت لعائلة أثق بها وأعرف إنهم لن يلحقوا به أضرارا

العودة (المفترض مؤقتة)

حين سألته على الهاتف متى سيحضر ،قال ربما خلال ثلاثة اشهر لأنه بحاجة الى استلام الشهادة ومن ثم تصديقها من وزارة التعليم العالي والخارجية والسفارة العراقية ، كما انه يفكر بشراء سيارة مرسيدس من المانيا سيما وإن احد الطلبة معه كان يعمل في شركة مرسيدس في مدينة شتوت غارت وإنه يستطيع الحصول ،على خصم في السعر

وقبل ان يتوجه الى المانيا اتصل بي وكان قلقا وسألني مباشرة :كيف هي الأوضاع السياسية؟

كانت بغداد ايامها تشهد حراكا محموما غير ظاهر للعلن ، كانت الأحزاب القومية على وجه الخصوص تتحدث في لقاءاتها الحزبية على مستوى الصف الأول عن ضرورة التحرك للإطاحة بنظام عبد الرحمن عارف خصوصا بعد المحاولة الفاشلة لعارف عبد الرزاق المحسوب على التيار القومي الناصري والذي كان ، موضع تندر العراقيين، قلت له نحن ننتظر نهاية المارثون

كنت قد عرفت من أحد الأصدقاء إن حزب البعث يعمل جاهدا على استمالة مدير الاستخبارات العسكرية وقائد الحرس الجمهوري ، وفي تقديري انهم مهيؤون اكثر من أي تيار او حزب سياسي عراقي لتنفيذ انقلاب ناجح، فالشيوعين ليست لديهم تجربة في هذا المضمار والأحزاب القومية كالناصريين وحركة القوميين العرب لا يصلحون لتنفيذ انقلاب في العراق ، أما البعثيون فهم يمتلكون الخبرة كما إنهم يحملون عقيدة انقلابية ولديهم تنظيم متماسك وعلى مستوي عال من الانضباط

كان عبد الستار في شتوت غارت حين اتصل يعلمني إنه اشترى السيارة ويعمل على اكمال الأوراق اللازمة للخروج بها الى العراق، قال سيقوم بقيادتها ولهذا يمكن أن أكلفه بأي شيء ليأتي به

في بداية تموز كانت الاشاعات قد بدأت تنتشر عن قرب وقوع تغيير كبير في العراق ، وحتى في المقاهي وعلى صوت الملاعق وهي تتحرك في (الإستكانات)وعلى وقع ضربات نرد الدومينو كان الحديث يتراوح بين الجد والهزل عن صيف ساخن ، حتى ان محمد الخياط قال: كم سيكون مدهشا عودة الدبابات الى الشوارع من باب التغيير على الأقل

كنت في الشركة حين اتصل بي عبدالستار معتذرا عن اشغالي ولكنه قلق بشأن ما يجري ،كان يبيت في قرية المانية على الحدود وفي الصباح وهو في طريقه الى السيارة في موقف قريب شاهد عنوانا على صحيفة معروضة على حامل معدني بباب مكتبة

Militärputsch im Irak

لقد استثارني العنوان ولكني لم افهم بالضبط المقصود ، سألت البائع قال إنه لا يعرف الإنكليزية ، اشتريت الجريدة وعدت الى النزل الصغير ، شرحت لي العنوان ولكن باللغة الألمانية

في الشارع كان عسكريا يتطلع في واجهات المحال قلت :سيدي هل تتكلم الإنكليزية

قال-قليلا

حسنا ماذا يعني هذا العنوان ؟-

ابتسم بشيء من الالفة -انقلاب عسكري في العرق

تابع -هل انت عراقي؟

.نعم..... هناك أسماء لقادة الانقلاب؟-

اخذ الجريدة وتصفحها ثم بدأ يقرأ قال -أحمد حسن البكر ، هل تعرفه

نعم ، أحد ابرز خبراء الانقلابات في العراق...شكري واسف لتأخيرك-

قلت لعبد الستار -إذا انت تعرف الان من استلم الحكم...اقترح أن تتأخر في وصولك الى بغداد حتى أيلول في تركيا أو سوريا

سأحاول البقاء في بلغراد فلدي قريب يعمل في الدائرة التجارية للسفارة العراقية -- فيها وقد سبق أن دعاني أكثر من مرة .

انقطع الخط الهاتفي وفكرت ان طول فترة المحادثة هو السبب وراء القطع ولكن (منى) قالت لقد دخلتما في منطقة الحظر ،لا تنسى ان الأجهزة الأمنية اليوم استعادت فعاليتها ، لقد انتهت الهدنة والانتظار لن يطول في تحديد من سيظل في الحكم ومن سيخرج !!!!!

قلت -هناك حالة عدم انسجام ، فلا النايف قريب من البعث ولا الداوود, كما ان المجموعة القومية في الجيش مهددة بالإبعاد، وكل الذي أتمناه أن يجري ذلك كما حصل في الانقلاب ،أعني دون دماء

لم يطمني حديث رياض ،كنت أغادر النمسا فقررت البقاء في سلوفينيا بضعة أيام قبل أن أتوجه الى بلغراد حيث قريبي ، ولهذا قصدت مدينة بليد ، فالطبيعة خلابة وهادئة اخترت فندقا يطل على البحيرة الكبير عند منحدر جبال الالب ، كان الفندق الصغير نظيفا والإفطار القروي لذيذ ومتنوع والفتاة التي تدير الاستقبال ترافق الزبائن الى غرفهم وتقوم بخدمة الإفطار وهي ترتدي الزي التقليدي وتضع شالا ابيض على رأسها فيما تفلت خصلة شعر كستنائية تتأرجح فوق خدها الوردي ، وترافقها ابتسامة وجودة

.وأنا اركن سيارتي خرجت مسرعة

الى الكراج ...اتبعني-

قالتها بلغة إنكليزية بصعوبة يمكن فهمها

اذا كنت ستقضي مدة عندنا فلابد ان تتركها في الكراج ،لأنك قد تتعرض لعملية - تسليب على الطرقات القريبة

كانت تستعين بدفتر صغير فيه ترجمة للكلمات اليوغسلافية الى الإنكليزية

حين عرضت عليها ثلاثة ماركات المانية رفضت

نحن نشتغل براتب-

اعدت الماركات الى جيبي

كنت اخرج يوميا بعد الإفطار الى بحيرة بليدا ذات الألوان المتداخلة بين الأزرق والاخضر ، اشرب القهوة بهدوء واقرأ في احد كتب الاقتصاد ، اتناول غدائي ثم اعود الى الفندق ،قالت أقترح أن تبقي سيارتك في الكراج وأن تستعمل سيارة أجرة فهذا سيجنبك الكثير من المضايقات ولدينا سائق معرفة ونأتمنه ويمكن أن يساعدك في اختيار المناطق السياحية ، وافقت على المقترح وبعد اول جولة في المدينة

قالت لوكا -كيف وجدت السائق؟

مؤدب ونادرا ما يتحدث وهو يعرف المنطقة جيدا وقد افادني كثيرا-

دائما اوصي به لزبائننا الأجانب-

قضيت باقي شهر تموز في الفندق وقد شعرت بمتعة كبيرة كما قرأت بعض الكتب التي لم تتسنى لي الفرصة لقراءتها لا في بغداد ولا في سوانزي، كانت فرصة ان أستمتع بكل هذا الجمال والهدوء وبساطة البشر هنا ،البحيرة وجهة سياحية ولكنها غير مزدحمة وهذا ما يجعل من تأمل ما تتمتع به فهي معروفة بجمال طبيعتها الخلابة ، أغمض عيني أحينا لأستعيد سحر المنظر الشامل ، فعلى امتداد البحيرة أنواع من الشجر المعمر وعلى اليمين ترتفع سلسلة جبال الالب حيث ما تزال قممها مغطاة بطبقة من الجليد الأبيض ، ووسط البحيرة جزيرة صغيرة تتوسطها ، قلعة تمتد الى عمق التاريخ لسلوفينيا

كنت قد قضيت خمس عشر يوما في بليدا ،مضت كأنها حلم 1968- 08-03في ليلة صيف كما يقول شكسبير ، سريعة وممتعة ويمكن أن اتجاوز هذا التعبير البسيط لأقول كانت ساحرة

اتصلت برياض في بغداد أولا حيث شرح لي الوضع القلق في المدينة بعد تخلص البعث من العسكريين الذين تعاونا معه في (تمرير) الانقلاب ، كما اتصلت بانتصار التي قالت إن رياض شرح الأسباب التي تدعوني الى التأخر وإنها تقدر ، الموقف...قالت إن حكمت هو رجل البيت الان أما ابتسام فيه عروسة

كان التلفون الثالث لقريبي في بلغراد ردت زوجته ، قالت نحن بانتظارك وفاضل خرج مع الأولاد الى السوق لشراء بعض الحاجيات ، طلبت منها عنوان البيت لأني لا أرغب في الذهاب الى السفارة

قلت للوكا سأغادر غدا بعد الإفطار ، رانت على وجهها سحابة حزن

يؤسفنا مغادرتك فقد كنت تحظى بتقدير عال من العاملين معي-

ابتسمت وتابعت- اقدر انك ضيف لا بد من ان يغادر لعائلته ومعرفتي بك خلال أسبوعين جعلتني أفكر بأن أتزوج عراقيا ، قالت ذلك وهي تبتسم بمودة

ارجو أن تفكر بزيارتنا مع العائلة ...سنكون سعداء باستقبالكم-

توقفت وهي تعدل شالها الأبيض المشغول بتطريز لجبال الالب

بعد الإفطار سأقوم بتنظيف السيارة فقد ظلت مركونة في الكراج-

، لا داع فعلى طول الطريق وأنا قادم كانت تمطر-

كانت قطرات المطر تحمل دخان المصانع ، من الواضح ان تلك المصانع لا - تخضع للرقابة

كان إفطارا متميزا ..بيض وزبدة وجبن محلي وقطع لحم مقدد قالت لوكا إنه لحم عجل

وأنا أخرج من الكراج قدمت للوكا علبة حلويات كنت قد اشتريتها في محطة بنزين على الطريق قلت لها

هذا لا يعطوك إياه مع الراتب-

ابتسمت وهي تأخذ العلبة وظلت تلوح لي حتى دخلت الطريق السريع

الحركة على الطريق الى بلغراد خفيفة ولم أتوقف الا مرة واحدة عند نقطة تفتيش للشرطة ، كان عملهم روتينيا

كانت اقامتي في بيت فاضل تتوزع بين المناقشات السياسية طوال السهرة التي يحضرها واحد او اثنين من أصدقاء فاضل فيما تدور أحاديث عن المودة ثم تبدأ حلقة جديدة من مقتضيات النميمة على الجانب الامامي من صالة واسعة حيث تتجمع ثلاث أو أربع من زميلات زوجة فاضل وينشغل أولاده الأربعة في متابعة مسلسل مصري

أما بعد الإفطار فإني انشغل أولا بالقراءة وبعد الثانية عشر بالخروج مع الأولاد الى الحديقة المجاورة حيث نلعب كرة القدم او يتحلقون حولي لأحكي لهم قصة عنتر وعبلة أو أبو زيد الهلالي ، وعادة أزيد أو أنقص في أحداث الحكايتين من منطلق التشويق والاثارة

اتصلت بانتصار التي كانت تطمني ان كل شيء عادي وإنها تنتظرني ....حكمت اصبح اكثر سيطرة على حديثة وطلب ان اشتري له سيارات تتحرك بجهاز التحكم .أما ابتسام فكانت تردد بابا تعال

أيلول غادرت بلغراد ولا أنسى بكاء أولاد فاضل وهم يلحون أن أبقى 10في "عندهم ...قال فاضل "إنهم لا يفعلون هذا حين أسافر بمهمة للسفارة الى بغداد

على الحدود التركية بدأت أولى مشاكلي فقد أصر موظف الجمارك على تفتيش السيارة على نحو مبالغ فيه ، أخرج المقاعد والاطار الاحتياط وكان يتكلم بالتركية المخلوطة بإنكليزية بحيث يضيع كل شيء ولا أفهم المقصود مما يدفعه الى رفع صوته بعصبية ويردد كلمة فهمت انها اقرب الى الشتيمة ،كنت أقف على مبعدة من السيارة أرقبه ....تقدم مني سائق شاحنة صغيرة تقف خلفي

الأخ يدخل لأول مرة الى تركيا ؟-

وربما اخر مرة-

- ماركات المانية وتجد انك على الطريق الى 10تجاوز كل هذه الضجة سهل جدا باب الهوى

أخرجت عشرة دولارات فاحتج السائق

لا .....عشرة ماركات ، الدفع هنا بالمارك الالماني-

توجه السائق الى موظف الجمارك وغمزه -مرحبا

مرحبا-

مد السائق يده يصافح الرجل وعاد ثانية يغمزه

الأخ لأول مرة يعبر الحدود ارجو أن تسامحه-

كان يتكلم معه بالتركية

انفردت أساريره وهو يلمح ورقة العشرة ماركات

قال السائق -سأساعدك بإعادة المقاعد ، اهتم انت بإعادة الحاجيات الى الحقيبة

أعاد رجل الجمارك أوراق السيارة ومعها ورقة رسمية مختومة بانه يسمح لي بالمغادرة

لم اتوقف الا في غازي عنتاب فقد شعرت بالتعب ، النزل الصغير في المدينة كان نظيفا ،ولكن اللغة كان لها وقعا غريبا في أذني وليس من يتكلم الإنكليزية ، في النزل كان أحد العمال الكرد من ديار بكر ويتكلم العربية وقد ساعدني في حجز غرفة لليلة واحدة كما قال بانه مستعد أن يرافقني في النهار التالي للتعرف على المدينة أو للتسوق ، شكرته ودخلت الغرفة بعد أن تأكدت من اقفال الباب من الداخل

في حلب توقفت لشراء بعض الملابس القطنية ثم تابعت السير الى بغداد ،توقفت في قرية صغيرة حيث تناولت الغداء ، كنت عند باب الدار عصر 14-09–1968

كانت انتصار مَن فتحت الباب وللحظات شعرت إنها تحت ضغط المفاجأة ، توقفت وهي فاغرة فاها ثم اندفعت تعانقني بقوة ،خرج حكمت الذي قفز الى حضني وهو يصرخ بابا على نحو هستيري أما ابتسام فقد امسكت بتنورة أمها لا تعرف كيف تتصرف فقد كانت رضيعة حين غادرت بغداد

حين ردت انتصار على هاتف رياض قال سنحضر حالا ، كانت منى في آخر شهر للحمل أما رياض فقد اكتسب بعض الوزن

بدت ابتسام طفلة على وسامة ملفتة ، عيناها واسعتان بعمق يشي بفطنة وحذر ...كانت تنظر إليّ بمحبة ولكن بوجل ، حين انشغلنا بالحديث اقتربت مني ومدت يدها الصغيرة والناعمة لتضعها على ركبتي وحين وضعت كفي على رأسها قالت بصوت خافت ومتردد -بابا

نعم حبيبتي بسو-

!!! انت حقا بابا-

قالت انتصار وهي تغالب دمعها -نعم ...ومعه هداياك التي طلبتها

عروسة و دراجة بثلاث عجلات-

قلت -العروسة بالحقيبة أما الدراجة فغدا يحضروها لك

كان حكمت يجلس على مسند الكرسي واضعا يده على كتفي ،تشجعت ابتسام وأشارت الى أنها ترغب الجلوس في حضني

قالت منى -الان فقط اجتمع شمل العائلة

شعرت بأن كل الأيام التي غبت فيها عن العائلة وعن بغداد كحلم تقضى الان ولكنها في مخيلتي ظلال من المتعة ،وأنا أحتضن طفلي وألامس ضفيرة انتصار . تخيلت أنه حلم كان في ليلة ما لا أتذكرها ....وما أعيشه الان هو الحقيقة المطلقة

في اليوم التالي ذهبت الى الوزارة لأسجل التحاقي بالعمل ولأقدم طلبا بإجازة لثلاث أيام لتصديق الشهادة من وزارة الخارجية ومن السفارة البريطانية وبعدها الى وزارة التعليم العالي لمعادلتها

قال موظف الاستعلامات -المدير الإداري يرغب في ان تقابله أولا

هل مازال القاضي-

لا ، القاضي في السجن ،المدير الادري عمر العيساوي-

قال المدير الإداري -اهلا ومرحبا بك دكتور ، نشرب الشاي أولا ثم نذهب الى المدير العام للشؤون الإدارية

كان مكتب المدير العام في غرفتي سابقا ومن الشباك المفتوح كان دجلة ما يزال ينساب، تتدافع مويجات رخية بلون أخضر شفاف فيما بضعة نوارس تشكل لوحة ، فوق الماء في حالة تغير مستمر

قال المدير العام وهو يعتدل في جلسته ودون أن يقف

ارجو أن تجلس ،وأشار الى مدير الإدارة بالخروج-

في الوقت الذي نرحب بك أود أن أوضح بعض الأمور التي حدثت في الوزارة - الجديدة

توقف عن الحديث ووضع كوعيه على الطاولة وكأنه يرغب في امتلاك ثقة أكبر بقدرته على إيصال المعلومات الجديدة

بعد استلامنا الفاكس الذي بعثه من إنكلترا والذي تم رفعه لمعالي الوزير حيث . كتب توصية بإعطائك درجة خبير اقتصادي لأن درجة المدير العام منحت للدكتور .محمد بتوصية من القيادة ، اعتقد إنك تتفهم الموضوع

كيف لا اتفهم الموضوع وعلى رأس السلطة حزب البعث العربي الاشتراكي للمرة الثانية ولكن ممسكا بكلتا يديه دفة الحكم لوحده بعد ا، تم التخلص من النايف والداوود بطريقة محترفة في المناورة والهجوم

قلت- لابأس فالقيادة اكثر مني فهما لطبيعة المهام في هيكل الوزارة ...وما ارجوه ،أن أكون مفيدا في موقعي الجديد ...لدي رجاء بسيط

تفضل-

قالها بارتياح

لغرض تصديق الشهادة وتقديمها للتعليم العالي لمعادلتها أحتاج إجازة لثلاثة أيام-

بسيطة-

ناولني ورقة بيضاء وقال – اكتب الطلب وسأوقعه بالموافقة ولكن لا تنسى تذكير ، عمر بأن يصدر الامر بمباشرتك

بعد إن شكرته ذهبت الى المدير الإداري لأسلمه طلب الاجازة واعلمه بتوجيه المدير العام بإصدار أمر المباشرة

رغم انزعاج انتصار وأسف رياض لأن الوزارة وضعتني بدرجة أدنى على العكس تماما عما كنا نتوقعه فإن الامر لم يشغلني خصوصا بعد ان قابلت المدير ،العام وتمنيت له التوفيق وأن أكون عند حسن الظن

كان المدير العام أحد المقربين من السيد النائب حين كان في القاهرة ، يحمل شهادة دكتوراه من بلغاريا وقد فشل ان يعمل في أي من جامعات القاهرة وبتوسط من السيد النائب تم تعيينه في جامعة مغمورة في أسيوط وبعد أسبوع من التحاقه بالجامعة أضرب طلاب الصف الثاني في قسم الاقتصاد حيث وافق على تدريس مادة الاقتصاد الكلي لطلبة السنة الثانية

قال الطالب الذي ترأس وفدا من أربعة طلاب لمقابلة مدير شؤون الطلبة في الكلية

الأستاذ العراقي ليس بمقدوره القيام بمهمة تدريس المادة فهو يخلط بين أسماء - علماء الاقتصاد وحين الشرح تكون لغته غير مفهومة وعند طلب الايضاح يتصرف بخشونة ويرفض الرد ....باختصار سيدي المدير الطلاب لا يرغبون بحضور دروسه

قال المدير- أتفهم حرصكم على الدراسة وسأرفع الامر للسيد العميد

في اليوم التالي تم استدعاء الدكتور عمر حيث ابلغه العميد إنه أوصي بالاستغناء ، عن خدماته

قال عمر أرجو أن توافقوا على استقالتي وأكون شاكرا فضلكم

في الطريق الى القاهرة تذكر الدكتور عمر فترة دراسته في الماجستير والدكتوراه وشعر بأنه فعلا دون المستوى المطلوب فخلال ست سنوات دراسية كان حضوره الى الكلية لم يتجاوز الأربعة اشهر نصفها قضاها في كافيتريا كان روادها المستديمين من العرب والافارقة

تذكر إن التوقيع على شهادة العبور كان يكلفه دعوة واسعة لمعظم الكادر التدريسي في مطعم على الجبل المطل على العاصمة البلغارية ،كل ما كان يعنيهم إن البار مفتوح حتى المغادرة عند الساعة الرابعة فجرا.

حين التحقت بعملي وجدت إن الغرفة المخصصة لي كانت في آخر الرواق ولا تطل على دجلة وتشتمل على كرسي خشبي بمساند مغلفة بقماش بني وطاولة مع هاتف داخلي.

المهم في إن ما كنا نقوم به هو الاجتماع على عجل لتقديم توصية بإقامة مصنع بحوالي الخمسين مليون دولار ليذهب بها الوزير الى رئاسة مجلس الوزراء للموافقة

في الاجتماع الأول استغربت الطريقة التي يتم البتّ فيها بمشاريع كبيرة دون دراسات أصولية أو حتى دراسة الجدوى الاقتصادية

قال المدير العام -المهم استحصال الموافقة ولاحقا يمكن اجراء الدراسات المقترحة ،

بعد هذا الجواب وعلى ضوء ما يجري في العراق قررت أن أوطن نفسي على التأقلم والانتظار!!!!!

1974

في المعتقل مرة ثانية

بعد صدور الامر بالعفو العام عن الملاحقين لأسباب سياسة ساد الوضع العام في العراق حالة استرخاء وبدأت محاولات جس النبض من قبل السلطة القائمة لتشكيل جبهة وطنية سميت لاحقا بالتقدمية ، كان في حسابات حزب البعث إن جبهة تحت قيادته وبوجود قيادة شيوعية انهكها الصراع والمطاردة والتشريد ستمنحه شرعية دولية تغطي على ما تسبب فيه الحرس القومي ،ولكن تبين إن هذه الحسابات غير مكتملة بوجود عناصر كانت في الخارج ثم عادت بكل خبرتها النضالية ، لقد عملت تلك العناصر على إعادة التنظيم الشيوعي بعيدا عما سمي بخط آب ،وهكذا عاد البعث الى الطريقة التي برع فيها وبدأت سلسلة من الاغتيالات كان ابرزها ، عند مستشفى اليرموك1972اغتيال احد القيادات المهمة في نوفمبر

كان هذا إنذارا لعبد الستار بانه يجب ان يكون اكثر حذرا في تعامله وفي طروحاته اثناء الندوات الفكرية التي يحضرها كما ان عليه أن يعيد النظر في طباعة كتابه (الماركسية بين النظرية والتطبيق ...لينين ،كرامشي و روزا لوكسمبورغ) فالدراسة التحليلية التي انجزها قد تفسر على انها مساهمة في تحديد أساليب ، وصول الشيوعيين الى الحكم

حين قرأ رياض المخطوطة قال له -واضح الجهد الكبير في متابعة الطروحات

الفكرية لثلاث من عمالقة الفكر الماركسي ومتابعة الخلافات النظرية والعملية المتعلقة بالحكم والسلطة ولكن الفصل الخاص بتجربة الحزب الشيوعي العراقي يمثل دراسة معمقة تضعك في دائرة الخطر، وفي 1970منذ تأسيسه وحتى عام رأيي شطب هذا الفصل أو طبع الكتاب في بيروت مع اشتراط عدم وصوله الى العراق

قالت انتصار -أعتقد إن طبع الكتاب في مثل هذه الظروف يمثل مخاطرة في كل الأحوال

قال عبد الستار -لقد كلفني هذا البحث النظري والميداني ثلاث سنوات من الجهد في الدراسة والاستنتاج ،إن كتابة اكثر من خمسمئة صفحة مزيجا من الفلسفة والسياسة ليس امرا ممكنا بسهولة ،سأدرس مقترحكما

قد قطعت شوطا كبيرا ، 1973كانت مناقشات الجبهة الوطنية والتقدمية في عام وبدا ان إعلانها وشيكا خصوصا بعد موافقة بعض قيادات الحزب الوطني أعلن رسميا عن 1974الديمقراطي في كوردستان العراق على الاشتراك، في قيام الجبهة

في ظل هذه الاجواء فكر عبد الستار إن اصدار كتابه لن يشكل خطرة حقيقية سيما وإن اخطر العناصر المعادية لاي تحرك خارج إطار البعث قد تمت تصفيته بعد محاولة انتخابية فاشلة

قال رياض -سأتولى طباعته في بيروت وزيادة في التحوّط سأطلب من الناشر استثناء العراق من التوزيع

قالت انتصار – رأيي أن يؤجل الموضوع فالجبهة مثل خشبة مرضوضة في مهب الريح لا يمكن الاتكاء عليها

ضحكنا من المثل الدقيق والمناسب

قالت -هذا ما قاله القائد الاشوري لأهل عكا وهو يحاصرهم ، المهم أن توصي الان بالتورتة لعيد ميلاد لحسن

ذهب الى محل أبو عفيف ليستلم تورتة حسن....كان ينظر تهيئتها للاستلام حين تقدم منه رجل في الاربعينيات من عمره شواربه السوداء تنزل على جانبي فمه لتلتقيا بلحية صغيرة مقصوصة بعناية ،في عينيه نظرة ماكرة تجعلهما يدوران بكل الاتجاهات فيما خداه بلون الخوخ الفاسد ،كان متأنقا في بدلة زرقاء وقميص ابيض ورباط عنق بنفسجي شديد اللمعان

دكتور عبد الستار ، قالها بلهجة مبالغ فيها مع ابتسامة عريضة كشفت عن - اسنان تتخللها بقع بنية جراء التدخين

نعم-

واضح انك لم تعرفني ، هل أقول انك شخت أم أنا قد تغيرت -

عفوا ولكن من حضرتك-

انا زميلك في سوانزي أعني جامعة سوانزي الدكتور غازي الشمري-

ومض في ذهنه موضوع السيارة

!!!!! دكتور الشمري-

نعم .... أمس فقط علمت أنك قد عدت وإنك تعمل في وزارة التخطيط ، أمس - كنت في زيارة لزوج شقيقتي عمر العيساوي واثناء الحديث أخبرني إن أحد خريجي جامعة سوانزي يعمل مساعا له ، حدثته عن إمكاناتك العلمية ونشاطك في جمعية الطلبة العراقيين في بريطانيا

شكرا-

ولكن ماذا تفعل هنا ؟-

ماذا أعمل ...أبو عفيف يصنع ويبيع الحلويات وقد اوصيتهم على تورتة لعيد - ميلاد ابني

يتربى بعز والدية ....هل تسمح لي بدفع الثمن هدية مني لعيد ميلاده-

شكرا لقد تم الدفع ...وهذه المبادرة موضع تقديري-

في اليوم التالي اتصلت سكرتيرة المدير العام بعبد الستار تعلمه انه مدعو الى مقابلة المدير العام الساعة الثانية عشر

كان المدير العام بوضع رائق وربما يعود ذلك الى الجو السياسي العام السائد فالدكتور عمر يعتبر نفسه احد الفاعلين في المشهد بعلاقاته وبتأييده للحزب وللقيادة الرشيدة ....استقبله بترحاب

لم تحدثني عن نشاطك في صفوف الجمعية الطلابية ...في بلغاريا ..عندنا كان - النشاط يترافق دائما جلسات شرب ...حين يكون النشاط مترافقا مع الندوات الفكرية والأطاريح الثقافية يصبح الامر مختلفا ...نكهة متميزة ...أقول لك الحق لم انتبه الى هذه النقطة إلا متأخرا

فكر عبد الستار إن هذا الحديث الناعم يحمل عددا من التأويلات المقلقة ولكنه قرر أن يستمر في الحديث ليصل الى معرفة ما يرغب ان يقف عليه المدير العام

كان لدي وقت فراغ في الجامعة بسبب ان تحضير الاطروحة لم يكن يشكل لدي - صعوبة تتطلب المراجعة والاستعانة بالمصادر فقد كانت مواضيع البحث وحتى الإحصاءات المتعلقة بها قد اطلعت عليه وانا في العراق ،هذا ما دفعني الى الانضمام للجمعية فقد وجدتها مكانا مناسبا لتقديم الخدمة للطلبة العراقيين والجمعية ...لم تكن ذات صبغة سياسية ففيها طلبة من اتجاهات مختلفة و

قاطعني -صحيح كما علمت من غازي ولكنها كانت فرعا للاتحاد العام لطلبة العراق والذي هو ذراع الحزب في الوسط الطلابي

هذا ما لا أعرفه فأنا لم أنتسب يوما الى الحزب الشيوعي لا في بغداد ولافي - سوانزي

ربما ...على أية حال ليس هذا بالأمر المهم فالحزب الشيوعي العراقي الان في- الجبهة الوطنية التقدمية ويعمل علنا وصحيفته في كل المدن العراقية من هنا يجب عدم التعامل مع الموضوع بحساسية

، حين عاد الى مكتبه وجد بضعة ملفات

قالت سكرتيرة المدير العام -عدد من المشاريع مطلوب تقديم دراسة جدوى اقتصادية بها خلال ثلاثة أيام لأن السيد الوزير والمدير العام سيعرضانها على اللجنة الاقتصادية العليا ،مع ملاحظة إن النتيجة إيجابية لأن هناك اجماع في الوزارة ولدى القيادة على تنفيذها

لم يرد عليها وفهم إنه سيواجه صعوبات في عمله الذي يجب أن ينجز بكل الأحوال وفق قرار الانشاء والتنفيذ بغض النظر عن الواقع الذي قد يكون مناقضا لتلك الرغبات ،أما الدراسات المطلوبة فهي من باب استكمال المظاهر الشكلية

لم يتأخر طبع الكتاب فقد لاقى ترحيبا من الناشر الذي اعتبره

تجاريا رابحا بسبب حساسية الموضوع من جهة وعمق البحث المتسم بسلاسة في المتابعة من الجهة الثانية

قال له رياض -هذا الأسبوع ستصلني نسختان واحدة لك والثانية لي

لم يعلق عبد الستار

حين استلم نسخته وجد ان الطباعة جيدة والغلاف من الورق المقوى تزينه لوحة جميلة لفنان تشكيلي لبناني مازج فيها بين صور الثلاثة الذين تناولهم البحث

كانت بغداد تتمتع بجو ربيعي وكان المشهد السياسي يشهد نشاطا متعدد الأطراف فيما غدا يشهد الاقتصاد العراقي نشاطا ملفتا للنظر وأصبح العراق كأنه ورشة عمل كبيرة ولم تعد البطالة موضوعا مطروحا فقد وجد الخريجون الجدد انهم مدعوون للالتحاق بوظائفهم ،واستوعب العراق اكثر من مليون عامل أجنبي، وتم الإعلان عن قانون الحكم الذاتي في كردستان ،كل هذا كان عاملا إيجابيا في نشر روح التفاؤل في المجتمع العراقي

كان عبد الستار في مكتبه حين دخل علية شخصان بلباس مدني ،كان الأول طويل القامة تدل هيأته على إنه كان يمارس تمارين كمال الاجسام فقد بدت عضلاته نافرة فيما كانت خطواته ثابتة ولا يعبر وجهه عن أية مشاعر ،عيناه فقط كانتا تشملان المكتب والغرفة بنظرة مدققة ،أما الثاني فقد كان اقصر قامة وعلى وجهه مسحة متملقة

الدكتور عبد الستار ثجيل ؟-

نعم-

أنا الرائد حمزة وزميلي الملازم نعيم -

اهلا ومرحبا ، كيف يمكن أن أساعدكما ؟-

أن تتفضل معنا بهدوء الى مديرية الأمن العام-

لماذا ؟-

لماذا ...هذا ستتعرف علية في المديرية-

هل استطيع إخبار عائلتي ؟-

بالطبع لا-

هل اعلم السيد المدير العام؟-

لا حاجة فالسيد الوزير والمدير العام يعلمان بهذا الاجراء-

كانت السيارة تويوتا لاند كروز مركونة أمام الباب الداخلي للوزارة ،والسائق الذي كان يقف ممسكا بالباب يتحدث مع عدد من سائقي الوزارة تكشف يده المرفوعة عن مسدس أبيض اللون ربما هو هدية لأنه شارك في مطاردة ناظم كزار

لم يتم وضع العصابة على عينيه ،تحدث النقيب على جهاز خاص مع شخص اخر

سيدي الدكتور عبد الستار معنا-

اذهبا لتفتيش الدار أولا واحرصا على تدقيق الكتب والمجلات واية مخطوطات - هناك

نعم سيدي-

التفت النقيب الى عبد الستار

لقد سمعت الأوامر-

نعم-

إذا سنذهب الى الدار-

نعم-

ما فكر فيه عبد الستار هو نسخة الكتاب التي كانت على طاولة القراءة ،ما قالته انتصار يتحقق

حين رأى النقيب حمزة الكتاب قال-نفس النسخة التي جاءتنا من السفارة العراقية في بيروت

شعر عبد الستار بشيء من الارتياح لأنه عرف السبب في استدعائه وهو الان معرض للاستفهام وليس لانتزاع اعترافات عبر التعذيب ،كان هذا الاستنتاج قد أراحه موقتا

حين دخلوا المبنى اتجهوا الى غرفة المدير العام، قال عبد الستار في سره الحمد لله ،انه ليس ناظم كزار، ومهما يكن ، الموضوع مقدور عليه

شعر عبد الستار ان المدير العام كان محكوما بسياقات العمل ولا يحمل روح المبادرة وهذا يمكن تفسيره على انه عامل إيجابي وإن بقاء الموضوع في مديرية الامن قد لا يسبب له مضاعفات

تفضل دكتور-

وأشار الى الضابطين بالخروج بعد وضع المستمسكات على الطاولة

ليس في ما وجده رجالنا غير نسخة كتابك الذي طبعته في بيروت وبغض - النظر عن الموضوع وخصوصا الفصل المتعلق بالعراق والذي كان منحازا

لتعزيز مكانة الحزب الشيوعي العراقي، سؤالي لماذا لم تعرضه على الرقابة في بغداد أولا ولماذا طلبت من الناشر عدم توزيعه في بغداد؟

في بغداد ليس هناك من اسرار فقد كان معروفا ان المدير العام للأمن بعد ناظم كزار كان ضابط شرطة محترف عمل في الشرطة المحلية وفي شرطة النجدة وشرطة القوة السيارة ولهذا فهو مهني محترف وليس سياسيا تربى على الحقد ،والكراهية

قال عبد الستار-نعم لقد فعلت ذلك متعمدا

حسنا اجلس وحدثني -

جلس على الكرسي الملاصق لمكتب المدير العام

لأني لم أرغب بأن يطلع الحزب الشيوعي وأنصاره على الفصل التطبيقي - الخاص بالعراق

الى حد ما مقبول ولكن ما جاء في البحث فيه إدانة لسياسة الحزب الشيوعي - ،ملتبسة أما في ما يتعلق بعلاقته بحزب البعث العربي الاشتراكي فحديثك مختلف

لو لم تنتبه سفارتنا في بيروت الى الدعاية التي عملها الناشر للكتاب لما عرفنا عنه شيئا

على اية حال الكتاب بحث أكاديمي-

أعرف ذلك فقد قرأته جيدا ....كما تشير تحرياتنا الى عدم انتسابك للحزب - الشيوعي

ولا لأية تنظيمات حزبية أخرى-

ستبقى معنا يومين أو ثلاثة أيام لحين رفع توصية بشأنك الى المراجع العليا -

اقتاده اثنان من رجال الامن ، لم يتحدث أي منهم معه ،وحين فتح باب القاعة، التي تستخدم مركزا موقتا للمعتقلين بانتظار التحقيق أو التسفير الى مراكز أخرى، واجهته رائحة عطنة ولغط متداخل ومجموعة متنوعة من الرجال ، كانوا خليطا غير متجانس بعضهم بالملابس الداخلية وبعضهم ما زالوا يرتدون زي الفلاحين وآخرون (أفندية) ولكن على نحو بالغ الرثاثة فملابسهم بدت كأنها غسلت ولكن لم يتم كيّها ،دفعه أحد مرافقيه الى الداخل وأغلق البوابة الحديدية بصرير حاد

كان حكمت في الدار حين فتشوا البيت ورغم تطمينات أبيه إلا إنه استشعر الخطر بعد بعثرة المكتبة واختيار مجموعة من المخطوطات والكتب ،فور خروجهم اتصل بإمه ...جاءت على عجل بعد أخذ إجازة مؤقتة من عملها ولكنهم خرجوا قبل مجيئها، عشرات الأسئلة أمطرت بها حكمت والمرأة التي كانت تعتني بحسن ...لم تجد أمامها إلا رياض تستنجد به، شعر بإنه مسؤول الى حد ما عما حصل.:::قال بأنه سيتابع الموضوع مع صديق له يعمل في الجهاز...لم تنم انتصار ...كانت مشاعر حزن ووجع عميقة تتآكلها وتردد عشرات الآيات علها تجد سلوانا يريحها

في القاعة التي كانت تزدحم بثلاث مرات اكثر من طاقتها كان الجميع ينامون على أرضية فرشت بحصران من البردي ، لم ينتبه أحد له ...حاول أن يجد فسحة يجلس عليها فقد شعر بحالة إعياء شديدة تدفعه الى الترنح ، قال رجل كان يحرك قميصه لتخفيف الحر ، تفضل هنا ....جلس الى جانب الرجل ...هل أنت سياسي...قال عبد الستار ربما ...ضحك الرجل كاشفا عن فقدانه بضعة أسنان...وأنا أيضا ربما ...أخيك مدرس تاريخ ...والأخ ؟ موظف في وزارة التخطيط ...، ماذا في تقديرك يخططون ؟

توصل عبد الستار إن الرجل ربما أصيب بلوثة أثناء التحقيق ،ولكن لماذا يعتقلون مدرسا للتاريخ ؟

لأنهم يملكون تاريخا آخر، تاريخا لم ندرسه ولم نطلع عليه ..قال مدرس التاريخ ثم تابع

ولا ندري كيف نعلمه لطلابنا ولهذا اقترحت على وزيري التربية والتعليم العالي - أن يعطونا نسخة مطبوعة من التاريخ الذي يرغبون تعليمه ...استقدموني أولا الى مديرية أمن البصرة حيث ضربوني بشدة فقدت صف اسناني العليا بالكامل وقالوا الصف الأسفل ليس من اختصاصنا إنه من اختصاص بغداد ...المشكلة أنا هنا منذ شهر ولم يعالجوا الصف الأسفل ...ما رأيك؟

لم يجبه عبد الستار وردد في سره :المشتكى لله

في الليلة الأولى لم يستطع أن ينام بسبب صراخ وحشي كان يصله سادا مسالك السمع لدية ...عند الفجر هدأ كل شيء ولكنهم دفعوا بستة أشخاص مضرجين بالدم وبدت ملابسهم الممزقة كأنها رايات انكسار محاربين مدحورين وجوههم تنضح بالقهر والمذلة

لم يتناول افطاره ..صمونة صفراء يابسة وبيضة مسلوقة بعناية فائقة وكوبا من الشاي البارد....وهو يغفو سمع مدرس التاريخ يقول :إذا كنت شبعانا سأتناوله أنا شكرا...

في الليلة الثانية تكرر ذات المشهد وفكر ،متى سيأتي دوره ؟ كانت المرواح المعلقة في السقف تداور الرائحة العطنة وتدفع بهواء حار ...شعر بأنه يعرق على نحو لم يشهده في حياته ..نزع السترة الخفيفة أولا ثم تخلص من القميص وبقي بالبنطال والفانيلا الداخلية ...قال مدرس التاريخ :هنا يبدأ التاريخ الحقيقي ..هم يعرفون ذلك وهذا سيكون هو موضوع الدرس في المتوسطات والثانويات العراقية طلبة الجامعة لم يأت دورهم بعد....!!!!

في الليلة الثالثة نام مبكرا وبدأ الصراخ يشكل جزءا من مشهد ثابت لم يسدّ مسمعية ، تناول الإفطار وتمدد على الحصير المتقصف ،فتح باب القاعة وسمع شخصا ينادي بأسمه

قال له رجل الامن -البس السترة دكتور

بأليه قام بذلك

دكتور لقد رأيت جزءا من الإجراءات الرسمية وأود أن أقول لك ، إنه تقع في - ظل المشهد العام للمصالحة الوطنية هناك استثناءات قد تقع، ومن هذه الاستثناءات النادرة تم الافراج عنك والتوصية بنقلك الى التعليم العالي وحسب ما تراه مناسبا كل الذي أرجوه أن لا تعود لنا ، وستوصلك السيارة الى البيت...

مد المدير العام يده ولكن عبد الستار لم يستوعب الموقف تماما ...تردد في مصافحته وقبل ان يسترجع المدير العام يده قال- اسف كنت مشغولا بحديثك اعذرني فأنا ممتن لاهتمامك...

1984

التغريب

سيارة الامن العامة اوصلتني وهي تنزلق بسرعة في شوارع بغداد ،لم يتحدث أحد ممن رافقني لا معي ولا بينهم ،كان أحدهم الى جانبي في المقعد الخلفي والثاني جلس الى جنب السائق ، في البيت استقبلتني انتصار بعاصفة من البكاء الحاد ،حكمت وابتسام في المدرسة أما حسن فقد كان ،فقد كان في سفرة مع كشافة مدرسته الى أبي غريب .

في المساء كان رياض ومنى معنا

سنكون أكثر حذرا ، متى تذهب الى وزارة التعليم العالي-

لا ادري فأنا متعب جدا ، ربما بعد يومين-

هل تعرضت للتعذيب . آسفة على السؤال ولكن قصص المعتقلين مرعبة-

لا إذا كان المقصود هو الضرب ، ولكنه تعذيب آخر-

الوضع السياسي معقد وليس من السهل التعرف ماذا هو مستقبل العراق، قال - رياض

قلت - في تقديري الامر عكس ذلك ، المشهد السياسي واضح وهو يسير باتجاه تنفيذ مخطط مقترن بمناهج عملية ، ستتركز السلطة بيد شخص واحد.

كان ما توقعته مبنيا على مشاهداتي لمسار الأمور ومناورات حزب البعث وعدم استيعاب الشيوعيين بقيادة عزيز محمد لهذه الحقيقة

بدأ الامر بمضايقات الشيوعيين أولا ثم ثم تصفية مجموعة من العسكريين اتهموا بخرق بنود اتفاقية الجبهة ، وانتهى باستلام شخص واحد مقاليد السلطة بكل مفاصلها المختلفة ، وانتهاء بإعدام عدد كبير من قيادة حزب البعث وحل الجبهة وحضر نشاط الحزب الشيوعي

حين تقدمت الى وزارة التعليم العالي بالأمر الوزاري بتنسيبي لهم قال مدير الإدارة

سأقوم برفع مذكرة للسيد المدير العام للشؤون الإدارية ، يمكنك الحضور غدا بعد - الساعة الثانية عشر صباحا

في اليوم التالي قال مدير الإدارة -لقد همش معالي الوزير بتنسيبك الى قسم البحوث في الوزارة ، مبروك دكتور

مضت ستة أشهر منذ ان استلم عبد الستار عمله في قسم البحوث ولكن أحدا لم يكلفه لا بكتابة بحث ما ولا حتى بإبداء رأيه في ما كتبه زملاؤه، كان يقضي الوقت بقراءة المجلات الأدبية وحنى العلمية لأنه كان يحذر جلب كتاب فقد يؤاخذ على إنه يضيع وقته ، لم يتحدث مع رياض بهذا الخصوص كما لم يشتكي معاناته الى ، انتصار

الوزير الجديد طلب الاجتماع الى رؤساء الأقسام في الوزارة وهيئة المستشارين وقسم البحوث ، كان منفتحا وموضوعيا وهو يستمع للجميع ثم ختم الاجتماع بالطلب أن يقدم كل من الحاضرين موجزا لا يتجاوز الصفحة الواحدة عما يعتقده مناسبا لتطوير التعليم العالي في العراق لأن اجتماعا سيعقد برئاسة الرفيق القائد لمناقشة الموضوع

كان الاجتماع يعرض مباشرة على التلفاز الحكومي ، وعرض من قبل مستشار التعليم العالي في القصر الجمهوري أن يتم منح مهندسي التصنيع العسكري شهادات الماجستير والدكتوراه بناء على البحوث أولا وعلى ابتكاراتهم ثانيا

اعترض الوزير لأن هذا مخالف للأعراف الأكاديمية في جامعات العالم ،طلب عبد الستار الكلام فقد وجد إن الامر بات لا يحتمل

..... سيدي الرئيس ،معالي الوزير-

رفع الرئيس يده فتعلقت الأنظار على نحو يحمل الخوف والترقب والحيرة

اعتقد إننا ليس في وارد الاستماع الى الحديث مع أو ضد ،على الوزير - ،ومستشارنا عقد اجتماع مشترك ودراسة الموضوع وتقديم مقترحات عملية

ساد صمت حذر فيما شمل الرئيس الجميع بنظرة فاحصة فيها شيء من التهديد مما جعلهم أكثر توترا

حسنا ...كنت في زيارة لبعض كليات جامعة بغداد وما رأيته كان مقززا ، كانت - المرافق تبعث على الاستفراغ ،إن مثل هذا غير مقبول ،لهذا اطلب من رئاسة

الجامعة اصدار الأوامر الصارمة بالحفاظ على المرافق نظيفة ومن أجل ذلك منح امتيازات مالية للعاملين في نظافة المرافق الصحية مرتبطة بدرجة النظافة.

فكر عبد الستار وهو يعود الى البيت إن المؤتمر توصل الى نتيجة تربط بين اصلاح النظام الجامعي ونظافة المرافق الصحية وحمد الله انه خلال السنة المنصرمة لم يشارك في اعداد أي بحث علمي أو مهني ، وأن المؤتمر أوحى له بأن يكتب في موضوع (النظافة من الإيمان)

التحاق حكمت بمعسكر تدريب الطلبة في النهروان كان موضوع مقلق فقد يتم بعدها التحاقه بفرق مساندة الجيش في الجبهة التي كان تتسع وتزداد ضراوة بين العراق وايران ..كانت انتصار تصرّ على أن نذهب لزيارته فور رجوعها من عملها حيث تكون قد جهزت وجبة متنوعة منذ الليلة الماضية ، كان حكمت قد تعرف على بعض الطلبة حيث كانوا يجلسون الى مائدة واحدة ، قال بإنه لا يشعر بالتعب أو الملل فهناك نشاطات متنوعة ، وفي المساء يتوزعون حلقات للسمر او الغناء ، ولكن انتصار لم تكن مقتنعة تماما فقد كان في خلدها إنه يطمئنها فقط .

كانت الحرب العراقية الإيرانية تسيطر على المشهد السياسي وبدأ التوسع في مهاجمة المدن واتهم العراق باستخدام الغازات السامة ضد الجيش الإيراني وكان شعار (كل شيء من أجل المعركة)غطاء سميكا لجملة من الإجراءات التي استهدفت الأحزاب والقوى السياسية المعارضة

وفي عملي ظل تهميشي في قسم البحوث كما هو عدا مرة او مرتين تم تكليفي بإعداد دراسات ثانوية حول التعليم بشكل عام في العراق ،انشرت عمليات سرقة إطارات السيارات حيث تعرض للسرقة ثلاث مرات وكان مسعفي في توفير إطارات بديلة (رياض)

بدأت أفكر عمليا في مغادرة العراق بعد تخرج حكمت ، وحين عرضت الموضوع على انتصار وجدتها توافقني وكأن الموضوع لم يفاجئها ، كان لدينا توفير نقدي ، حرصت انتصار على أن تخبأه بأمان كما يمكن بيع السيارة والبيت

في زيارتنا لبيت رياض فاتحته بالموضوع فأيدني وقال يمكن أن تذهبوا أولا الى عمان ويمكنني أن أقدم لكم بعض الخدمات عبر فرع شركتنا هناك فأكفيك عناء البحث عن شقة بسعر معقول في إحدى المناطق المناسبة ، كما يمكن تأمين عملا لك في الجامعة الأردنية حيث لدي أصدقاء في اكثر من جامعة ، وإذا رغبت أم حكمت في العمل فالشركة بحاجة الى محاسبين في القسم المالي .

أصبح كل شيء في مسار التنفيذ المدروس ...سافرت أولا الى عمان حيث فتحت حسابا في البنك العربي (حساب غير مقيم) وتعرفت على بعض أصدقاء رياض الذين تعهدوا بمساعدتي للحصول على تعييني مدرسا لمادة الاقتصاد لأنهم يعرفون الكثير عني من رياض واطلعوا على مؤلفاتي والتوسع الذي يجري في الجامعة يساعد على ذلك ،

بدأت أولا بتحويل النقد الذي كنا قد وفرّناه، بواسطة رياض وبعض المهندسين العاملين في شركته.

حيث يتطلب وضع شركته هناك سفرهم بالتناوب للإشراف على مشاريع البناء التي بعدتهم فقد كانت عمان تشهد نشاطا عمرانيا واسعا

غادرنا بغداد ، بعد إن قدمت طلب استقالة من عملي في وزارة 1984في صيف التعليم العالي ، لم أكن متأكدا من انهم سيوافقون ، ولكن ما حصل ان موافقة الوزير صدرت بعد اقل من اربع ساعات ولم يستدعني أحد لبحث الموضوع ولو من باب جبر الخاطر،

استأجرنا شقة في الشميساني ،وبدأت ابتسام وحسن التعرف على المنطقة ...حكمت التحق بشركة رياض أما ابتسام فقد قررت التريث لبعض الوقت

كان طلبة الجامعة الأردنية أكثر انضباطا ومنذ الدرس الأول استطعت أن احتل موقعا لدى الطلبة ومما ساعدني أنهم يتعاطفون مع العراقيين ،قررت ان التزم بالمنهج المعد للتدريس ولكن بتوسع اكبر ،كان موضوع تاريخ النظريات الاقتصادية يتسع لاستعراض المهارات الموسوعية وكنت أجد فيه شغفا منذ أن 1962كان الأستاذ إبراهيم كبه يحاضرنا فيه عام

في العام التالي تزوج حكمت وغادنا الى كندا ليستقر كمهاجر عراقي وفي العام التالي تزوجت ابتسام من ابن الملحق التجاري السوري في المانيا، لم يبق معنا ، غير حسن الذي اجتاز المرحلة الابتدائية بتفوق

كانت انتصار قد التحقت بالعمل في شركة رياض الانشائية في عمان لتعمل في قسم الحسابات وفي أوقات الفراغ كانت تطور مهاراتها في اللغة الفرنسية ،حسنا حين أذهب الى حكمت لن أواجه صعوبة في التعامل مع الجيران في فان كوفر ....كان هذا ما ترد به وهي تضحك بفرح طفولي

حين توجهت الى السفارة الكندية بطلب الفيزا لم توافق السفارة فهناك تشدد يواجّه العراقيون ، كنت منزعجا حين كلمتني على هاتف الجامعة ، قال دكتور كان يجلس قريبا مني

خيرا ... ارجو الا يكون مكروها-

لا ، زوجتي تعلمني إنها لم توفق بالحصول على الفيزا الكندية-

أعتقد أنه يمكن حل الموضوع فالأستاذ الرفاعي متزوج من قريبة السفير الكندي - فهو قد اكمل دراسته العليا في أوتاوا ، ويمكن ان يساعدنا

في اليوم التالي سلمته جواز السفر ، والمستندات المطلوبة ، وفي نهاية الأسبوع سافرت انتصار الى فان كوفر ، كانت تحدث معي يوميا وفي نهاية الاسبوع الأول قالت بتصميم مشوب برنة حزن ، إنها قررت العودة ولهذا راجعت مكتب الخطوط الأردنية وغيرت الموعد السابق ودفعت للمكتب قيمة التغيير

ولكن لماذا ، قطعت السفرة على هذا النحو المستعجل ، هل انت في البيت الان؟-

نعم ، حكمت وزوجته في العمل-

هل ضايقك أحد ؟ -

لا ...سأحدثك عند العودة-

في الطريق من المطار الى البيت

قالت-يخرجان في الصباح الباكر ويعودان مساء ....ليس هناك من حاجة الى إعداد أية وجبة طعام عدا الإفطار لأنهما يتناولان الطعام في مكان العمل ...بعد ساعة يأويان الى النوم ..وحتى اللغة التي تعلمتها لم استفد منها لأن لا جيران يزورونهما ....الوحدة شيء مخيف لم أتعودها ،قلت لهما إذا اشتاقا لنا يمكنهما الحضور الى عمان ، ولكني لا اعتقد إن في مخططاتهم القيام بمثل هذه الزيارة .

مساء وقف الحرب بين العراق وايران عرض التلفزيون مشاهد الفرح الشعبي في شوارع بغداد والمحافظات على نحو غير مسبوق ، وانتشر تراشق الشباب بالماء من قناني بلاستيكية ، وتعكس حالة الفرح الهستيري رغبة الناس السلام وكراهيتهم ، للحرب

اجتاز حسن البكلوريا بدرجة اكثر من تسعين بالمئة وعرض ان يكمل دراسته في طب الاسنان في إنكلترا لأنه لن يكون بحاجة الى سنة تحضيرية فلغته الإنكليزية ، جيدة

كنت حريصا أثناء دراسته الثانوية على أن أبعثه الى لندن خلال العطلة الصيفية لدراسة اللغة في معهد صيفي والإقامة في بيت عائلة إنكليزية تستقبل الطلاب الأجانب

كتبت لي مرة صاحبة البيت إنها معجبة فعلا بسلوك حسن فهو يحرص بعد انتهاء الدوام في المعهد على مرافقة الصبيان الإنكليز ...يلعب معهم كرة القدم أو يتجولوا في الحراش القريبة من المدينة ليظل قريبا من اللغة الإنكليزية ، كما كان يحدثني حين يكون في البيت عن الحياة في العراق وعنك وأمه وقد وجدت إن لغته الإنكليزية تتطور بسرعة سيما وهو يحرص أن يلفظ الكلمات بلهجة جنوب إنكلترا

1992

الهجرة الى أوربا

كانت عمان مكانا آمنا وقد وجدت ان الحياة فيها مناسبة فالحياة الاجتماعية نشطة وهناك الكثير من الندوات الأدبية والفنية والرياضة مما يتيح لنا قضاء اوقاتا جميلة ، أحيانا ، في الصيف نذهب الى الشمال حيث الغابات والجبال ومناطق سياحية تضم مطاعم ومتنزهات عائلية.

في بداية التسعينات من القرن العشرين اخذت عمان شكلا جديدا وتوسعت افقيا وعموديا وأصبحت الشركات العراقية منتشرة في مناطق مختلفة ،كما أصبح العراقيون فيها يشكلون نسبة كبيرة من اجمالي مشتري الشقق السكنية ، وكنت واحدا منهم ،فقد اشتريت شقة في حي حديث وكنت أنا وانتصار فقط ، نستعيد فيها ذكريات الأولاد ، كانت الشقة ضمن مجمع سكني نفذته شركة رياض في عمان ولهذا أمكن الحصول على خصم مجاملة، كان الشراء يستلزم موافقة مجلس الوزراء الأردني وقد حصلت على الموافقة في غضون شهر واحد.

عدا حسن الذي زارنا بعد السنة الثانية، لم يحضر حكمت ولا ابتسام ، كان حسن فرحا باستقرارنا في عمان بعد ان أصبح لدينا الكثير من الأصدقاء الذين نتزاور معهم أسبوعيا ،قال بأنه متفوق في دراسته وقدم لنا كشفا بعلاماته وكتاب من عمادة الكلية يشكره على مساهماته الجدية في نشاطاتها العامة .

كان رياض يمازحنا -يمكن أن تظلوا في شهر عسل دائم ...أنا لا أجد مجالا للهدوء ،الأطفال يغرقون البيت بالفوضى والضجيج وطلبات لا تنتهي ... ومنى تقول اني وحيد في عائلتي ولهذا تريد أن تبعد عني الشعور بالوحدة ..في الحقيقة أنا سعيد

قالت انتصار -ستة أو ثلاثة ...مصير العصافير أن تتوزع على أكثر من شجرة

تقول منى -هكذا ينتشرون ليس في العراق فقط وانما حول العالم ....سيكون لدينا دائما بيت في مكان ما

تتحسر انتصار -ان شاء الله

بدأت أولى المشاكل باستغناء الجامعة عن خدماتي بسبب وصول مجموعة من الخريجين الأردنيين من جامعات اوربية ، قال رياض يمكن أن تعمل معنا ، لم أوافق وفكرت ان أنشئ شركة خاصة ،كانت الشركات العراقية نشطة في عمان

ودار في خلدي اني على معرفة بسوق المكائن والمعدات في العالم وقد أحقق ،نجاحا في مجال الاستيراد

تقدمت بطلب إجازة شركة تجارية مع كافة المستلزمات المطلوبة وبدأت أجري بعض الاتصال بالشركات العراقية التي تتعاون مع قطاع الصناعة العراقية رغم الحضر الذي فرضه الحصار الأمريكي

بعد أسبوعين جاءني الرد بعدم الموافقة ، قضيت أمسية حزينة مع انتصار واتصلت برياض ، في الصباح كنت في مقهى يضم تجمعا للعراقيين ،سألني شخص كنت اعرفه عن طريق ابنه الذي كان أحد الطلبة المتميزين في قسم الاقتصاد

ماذا تعمل الان ؟ لقد أخبرني فؤاد إنهم استغنوا عن خدماتك-

لا شيء ...كنت ارغب بأنشاء شركة ولكن تم رفض الطلب-

اعرف مدير عام شركة عراقية لديه الكثير من صفقات الاستيراد لوزارة - الزراعة هو بصدد تطوير عمله مع الصناعة والتصنيع العسكري ،فاتحني بحاجته الى موظفين يملكون خبرات تجارية ولديهم لغة إنكليزية على مستوى عال...ما رأيك؟

ما رأيي بماذا ؟-

بالتعاون معهم-

حين أخبرت انتصار قالت ولم لا الى أن نجد مكانا أفضل ، من المهم أن نحافظ على مدخراتنا وراتبي وحده غير كاف

كانت الشركة تمتلك بناية من أربعة طوابق وكان واضحا إنها تتوقع توسعا كبيرا في أعمالها...خلال شهرين تم رفع مركزي الى مدير قسم الاعتمادات وعدل راتبي بشكل مقنع

كنت أزور مكتب مسؤولة القسم الكيماوي لبحث مشاكل في الاعتماد المفتوح لصالح شركة سويسرية لاستيراد مواد أولية لمنشأة في التصنيع العسكري، كان عندها شاب في الأربعين قدمته باعتباره شقيقها المهاجر الى السويد، كان الرجل ودودا ويتصرف باحترام وتتوسع ابتسامته وهو يتحدث ، قال بإن شخصا مثلي يمكن أن يحصل على الإقامة في السويد وما يترتب عليها من معونة مالية ،ويمكن ، أن أيضا أن يتابع بحوثة في الاقتصاد على النحو الذي هو مقتنع به

بعد أسبوع رأيته يدخل الشركة وكنت في طريقي لمراجعة المدير العام والذي هو المالك الثاني للشركة،

شقيقتك خرجت قبل نصف ساعة وستعود قريبا ، هل تقبل دعوتي على القهوة-

انتشرت ابتسامته -بشرط قهوة تركية شديدة الخجل

قلت له وأنا أجاري ابتسامته – بنت بيوت

ما طرحه حول كامل قصة الحصول على الإقامة ومن ثم الجنسية السويدية كان موضع استغرابي لبساطته وقبول السويديين بقصص أقرب الى الفنتازيا حيث يتم قبول المهاجر بقصة مقنعة ، تذكرت أمي وهي تستمع الى قصصي في مدرسة فيصل الثاني الابتدائية ، كانت عند التنور وأنا أجلس على كرسي خشبي أنتظر أول رغيف التقطه وهو ساخن ، تقول لي اسرد لي يومك في المدرسة وحينما كبرت كنت استغرب من معرفتها ان السرد يعني القص ،

استعرضت الموضوع مع انتصار التي بدت خائفة من أن يؤدي بنا تأليف قصة غير مقنعة الى تسفيرنا للعراق ....أنت تعلم ليس لدينا هناك حتى دار نسكن فيها فقد صفينا كل شيء ،أكد لي طلعت ان الامر لا يحتاج كل هذا القلق وسيكون هو في انتظارنا في ستوكهلم حيث نكون في ضيافته يومين او ثلاثة لحين دراسة القصة التي نستعرضها امام المحققين ثم نسلم انفسنا الى اقرب مركز شرطة

جرى كل شيء سلسا وأودعنا في مركز استقبال اللاجئين ، اتصلت بطلعت لأخبره بالتفاصيل، بعد يومين التقيت به في الحديقة الملحقة بمركز الاستقبال،

المركز يضم مجموعة كبيرة من العراقيين على وجه الخصوص من العرب والكرد، والطريف ان بعض المواطنين من بلدان عربية أخرى كانوا يدعون انهم من العراق ليحصلوا على الإقامة ،ربما عرفت السلطات السويدية بهذا فوضع المحققون سؤالا لمن يشكون بأنه ليس عراقيا (ما معنى ركية ودحروجة تحت الجربایة)

أو (ما هي كنية الجندي عند العراقيين)

كنا نتناول الطعام في مطعم واسع وكان ما يقدم وجبات كافية وبعد الطعام يتجمع النزلاء في مجموعات حسب تنوعهم الاثني او الثقافي أو الطائفي ليتحدثوا في شؤون مشتركة ،في المركز التقيت بشعراء وكتاب وروائيين ما استغربته إن

معظمهم مصرّ على تبني قيما قديمة ويرفض على الأقل استيعاب التحول الكبير الذي سيتعرض له في مجتمع كل ما فيه جديد عليه .

استطاعت انتصار أن تكون علاقات مع بعض النسوة امتد عمرها سنوات بعد خروجنا من المركز الى السكن المستقل ، التحقنا أولا بمدارس لتعلم اللغة ومن ثم البحث عن عمل مناسب، تم معادلة شهادة الدكتوراه من جامعة سوانزي وهكذا اتيح لي ان أدرّس في مدرسة ثانوية وبعد سنتين عملت في الجامعة ، أما انتصار فقد تم اعتماد شهادتها الجامعية من بغداد بما يعادل الدوام في الصف الثالث في جامعة استكهولم وفي ذات الاختصاص ، لم تكن اللغة السويدية معقدة وافضل طريقة لاستيعابها التحدث مع السويديين ووضع برنامج للمتابعة .

قال رياض في مكالمة هاتفية -بعد ان استقر بك المقام وانتظمت اموركما علينا ان نفكر بالاستفادة من أسواق السويد.

بدأت مرحلة جديدة في حياتي ...كنت أحس إني أملك حيوية وطاقة للعمل ، انتصار عملت في شركة للسكك الحديدية ويستمر دوامها حتى الخامسة مساء، الشتاء وحده كان مرهقا بسبب انخفاض درجات الحرارة والثلوج التي تغطي الشوارع ،في البداية فرحنا بالمنظر الأبيض الذي يغمر كل ما حولنا وخرجنا مثل صبيين نتقاذف بكرات الجليد ،

دوامي في الجامعة كان لا يتعدى محاضرتين او ثلاث في اليوم وأبقى طوال النهار في المكتبة أعوض ما فاتني في العراق من قراءة البحوث والنظريات الحديثة وأحاول أن الحق بالركب العالمي ،كنت أجدني بعيدا حين يدور نقاش في غرفة المدرسين وكنت التزم الصمت وأنا أسمع كما هائلا من المعلومات تطرح أثناء النقاش.

لهذا كان مقترح رياض مناسبا ، اخترنا المعدات الزراعية ومضخات الماء ،كان رياض يملك حسا تجاريا وقد وجد في الاهتمام المتزايد بتطوير الزراعة مجالا يمكن أم نحقق فيه النجاح.

كان في الدار المجاور لنا مهندسا زراعيا متقاعدا جمعني به اهتمامنا بالحديقة الخلفية لدارينا ، كان في السبعين ولكنه ما يزال في حركة دائمة ، يصلح سيارته ويساعد في تقديم المساعدة لسكان الحي في اصلاح الكثير من الأجهزة الكهربائية التي تتعرض للعطل ، حين عرضت عليه الفكرة رحب بها خصوصا بعد تأكيدي

له إنه لن يشارك في رأس المال الذي سأتكفل به أنا، أسسنا شركة ذات مسؤولية محدودة وبدأنا بصفقة مضخات ماصة كابسة، توسع عملنا حين نجحنا في تصدير حاصدات زراعية متطورة ، كان رياض يحصل على المناقصات بحكم علاقاته وخبرته في عالم الأعمال ، ومن عمان يقود الشركة في حين يقوم فرعها في بغداد تامين المتابعة وفي حالة وجود إشكالات أو مصاعب يسافر لوضع الحلول ، المناسبة

خلال ثلاث سنوات كانت اعمالنا تسير بوتيرة متصاعدة بحيث حققنا اعتمادات بأكثر من مئة وسبعين مليون دولار ...كانت البضائع تغادر الى عمان عادة على ، أساس انها لصالح شركة أردنية

ثم يتم تغيير أوراقها لترسل الى العراق ، كان هذا الإجراء بسبب قيود الحصار ، الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية

في صباح شتوي شديد البرودة ، كنت استعد لتوصيل انتصار الى عملها وأذهب أنا الى مقر الشركة ،رنّ الهاتف الأرضي على نحو متواصل ،لم أرغب في الرد عليه ولكن انتصار أصرت على معرفة المتصل ، كان رياض ولكن صوته كان مشوب بقلق أتعبني

لدي حديث طويل ولكني لا أتمكن من الخوض فيه ولهذا قررت أن أكون عندكم - بعد ثلاثة أيام

يبدو إن الامر في غاية الأهمية-

نعم-

هل ستأتي وحدك-

لا ...ستكون معي منى فالأولاد في المدارس وسترعاهم خالتهم-

رغم شعوري بالقلق ، إلا أني سأصبر على مضض حتي مجيئكما-

الى اللقاء-

واغلق سماعة الهاتف

قالت انتصار -من تعابير وجهك يبدو إن الاخبار غير مطمئنة

فعلا...ان رياض على الهاتف-

هل حدث لهم مكروه-

لا ولكن الأمر مقلق ، قال سيأتي هو ومنى بعد ثلاثة أيام-

لم انقطع عن التفكير بمكالمة رياض ، فهو صديقي الوحيد في هذا العالم وما بيننا يشكل إطارا عائليا قوي القرابة

في الحادية عشر ،اتصلت انتصار لتعرب لي قلقها ولكنا تدعوني الى أن لا أشغل نفسي بالتفكير فلو كان الموضوع عائليا لأخبرنا به
أمور العراق بالدقائق وأنا أرى إن الموضوع لا يخرج عن السياسة أو العمل - وكلاهما يمكن تدبرهما ، رياض (ما يدوس تختة جرك)

كانت ثلاثة أيام ثقيلة فالانتظار دائما يثير المخاوف في النفس لأنه مفتوح على كل الاحتمالات وكنت أنشغل بالعمل وبالقراءة وأحيانا بالحديث مع انتصار

في الطريق من المطار الى البيت احترمت صمت رياض الذي بدا مهموما ، فيما انشغلت انتصار بالحديث مع منى عن الأولاد ، دراستهم سلوكهم ، كانت الشكاوى مشتركة فالعصافير لا تستقر على شجرة واحدة

في الصالة قال رياض -أرغب بشاي أسود من القطران

قالت منى – استهدي بالله

قال رياض -بعد الشاي

قلت -لقد اتعبتني ، ما هو الموضوع

اعتدل في جلسته مادا رجليه الى ما تحت الطاولة

تعلم ان ليس لي من أحد افتح معه قلبي واسراري غيرك وهذه المرأة - الصابرة ....لقد توسعنا في اعمالنا وكانت شركتنا في السنتين الأخيرتين اكثر الشركات في مجال الاستيراد للعراق .....استوردنا المعدات والسكر ومواد كيماوية من بلجيكا وسويسرا وتركيا ....لم ابحث في استخدام الكيماويات ، قبل حوالي خمس عشر يوما وصلتنا في ميناء العقبة شحنة برميل كبير ، عند انزال عدد منها 150مواد كيماوية من بلجيكا مكونة من من الباخرة الى الرصيف سقط برميل من الرافعة أدى ذلك الى فتح الغطاء وانتشرت مادة صفراء برائحة حادة ، العامل في الباخرة صرخ بعصبية طالبا الابتعاد ....جاء كابتن الباخرة وطلب إيقاف العمل والابتعاد عشرين

مترا على الأقل ثم اتصل بمدير الحركة في الميناء...على الفور كانت مجموعة من المعنيين عند البرميل وهم يلبسون اقنعة واقية وتجمهر عمال الميناء ...وبعد دقائق حضرت ثلة من منتسبي الهندسة العسكرية وتم جمع المبعثر من المادة ورفع البرميل الى ظهر شاحنة عسكرية مغلقة وتم دفنه على عمق عشر أمتار في منطقة شبه جبلية على الحدود الأردنية السعودية ، حين حضرت طلبوا أوراق الشحنة ...شعرت إن هناك خطورة قد تعرضني للمسألة فاتصلت بالسفير العراقي الذي هدأ من روعي وقال إنه سيحل الاشكال...في اليوم التالي اتصلت صحفية أمريكية تطلب مقابلتي في فرع شركتنا في العقبة ...قالت ما هي مكونات الشحنة ؟...أنا اعرف انها مواد سامة كنتم تهدفون الى انتاج أسلحة كيماوية ...سؤالي من أين استوردتموها

قلت لها -الشحنة مادة تدخل في صناعة الأسمدة الكيماوية التي ينتجها العراق منذ سنين

قالت- لماذا إذا تدخلت الهندسة العسكرية

قلت – يمكنك سؤالهم

صمتت وهي تحدق في وجهي

بالطبع سأسأل ...ولكن موقفكم كموردين ليس سهلا-

قال السفير العراقي حين اخبرته – لا عليك انس الموضوع

ولكني لم انساه ، حين ذهبت الى بغداد وجدت إن المواد لمنشأة تابعة للتصنيع العسكري مهتمة بإنتاج سلاح كيماوي ، لقد صدمت فعلا فنحن نساهم في قتل الناس ، أرّقني هذا عدة ليال وقررت أن أناقشه معك ، إن رفضنا العمل على مثل هذه المواد سيوقف عملنا بالكامل وقد يعرضنا لمشاكل لا حصر لها وبأساليب لا تخطر على بالنا،

كنا نصغي جميعا بترقب ممتزج بقلق

أن يتوقف عملنا هذا لا يشكل مصدر خوف أو قلق فنحن الان نملك ما يمكن أن يغطي احتياجاتنا ،والباقي من اعمارنا أقل من المنتهي ، كما إنه لا يشكل معضلة أمام الأبناء فأولادكم وأولادنا يشقون طرقهم دون أن يعتمدوا علينا في المرحلة الحالية ، ولهذا ...نعم نتوقف كلية عن العمل معهم ، ويمكن أن تعمل في الأردن بمجال تخصصك الأساس فالبلد الان في نهضة

عمرانية ، وانا في الجامعة وفي مجال الاستشارات أو دراسات الجدوى الاقتصادية للشركات الجديدة أو المشاريع الجديدة
بدا رياض اكثر راحة

قالت انتصار- العشاء جاهز لدينا وقتا كافيا لمناقشة الموضوع
قالت منى – الموضوع انتهى وقد كنت قد توصلت الى نفس النتيجة وكلمت رياضا بها ولكنه أصر أن يستمع الى أبي حكمت
في الصباح ذهبنا سوية الى مقر الشركة فيما قررت انتصار ومنى الذهاب الى كلوريان مول الذي تفضله انتصار لأنها تجد فيه معظم حاجياتها

كان الأسبوع الذي قضياه معنا من اكثر أيام إقامتنا في السويد متعة فقد تضمن العديد من السياحة في البلد ، كما قضينا ليلة ممتعة في دار الاوبرا الملكية وقمنا بنزهة في الجبال المحيطة بالعاصمة

قال رياض-ستظل هذه الزيارة معلما مهما في حياتنا .....ما اردت أن أختتم به ، مناقشاتنا حول المستقبل ،إننا سنستقر في عمان وسنبقى على التواصل معكم

حين غادرانا قالت -انتصار -سنعاني من الوحشة بعكم فقد ملئنا أيامنا ونسينا الغربة

، قلت -ولهذا يجب ان ننشغل بالعمل

قمت بتصفية المعاملات المتعلقة بالعراق وعدت الى الجامعة ، ولكن هاجس العراق كان يسكن في وجداني رغم أني كنت أتجنب الإشارة اليه في أحاديثي في المنزل

كانت بداية القرن الثالث مقلقة فقد عاد الحديث بنشاط واسع عن المخاطر التي يمثلها بقاء الرئيس الحالي في العراق على رأس السلطة ،وفي العام الثاني كانت قوات الحلفاء تتزايد على نحو ملفت فيما تحركت الى الخليج العربي والأبيض المتوسط حاملات الطائرات ، كانت محطة(السي ان ان) تواظب على نشر التقارير عن تلك التحركات

في غرفة التدخين في الكلية كانت النقاشات محتدمة بين الأساتذة ،كان البعض يرى انه لا شرعية قانونية لقيام التحالف بشن الحرب على العراق ،وآخرون يرون انه لا حرب ...والموضوع لا يعدو استعراض قوة.

كنت اعتقد جازما إن الحرب قادمة وإن هدف الحرب هو الإطاحة بالنظام القائم ،ذلك لأن حشد كل هذه القوات البرية والبحرية والجوية ليس عبثا سياسيا، كانت .انتصار تعتقد إني متشائم وإن كل هذه الضجة ستنتهي الى لا شيء

ما كنت مخطئا به هو اعتقادي إن التحالف سيواجه مقاومة شرسة من الجيش الذي !!!بني للحرب وللطاعة ومن جماهير الحزب التي تمتد على مساحة العراق

آذار كنت اسهر مع السي إن إن وعلى حين غرة كانت دبابتان 19ليلة امريكيتان تعبران الجسر من جانب الكرخ ثم تتوجهان الى شارع أبي نواس حتى لم ترافقها ثلة من جنود المشاة لتأمين الطريق ...لم تنطلق رصاصة واحدة لتعلن على الأقل شجبها لهذا الاجتياح ...كانت الفضائيات الحكومية تستعرض يوميا قوات الحرس الجمهورية يرافقها صوت وزير الاعلام العراقي الحاد والمتعالي والمستفز وهو يعلن (ستموتون عند أسوار بغداد) لا القوات المسلحة ولا جيوش أعضاء وانصار ومؤيدي الحزب الحاكم في المساحة الممتدة على الأرض العراقية كان لها وجود ، تبخرت واصبح . الطريق مؤمنا لانتشار القوات الغازية في بغداد

شعرت بوجع فيما خيم على الصالة صمت ثقيل يترشح عبر مسامات الليل الحزين ،كانت انتصار قد ذهبت لتنام وأحسست بحاجتي الى كمية أكبر من الهواء، خرجت الى الحديقة واتكأت الى شجرة سنديان كانت تنتصب قرب السياج على امتداد الشارع، لم استطع استيعاب ما رأيت، ،تذكرت ما قرأته ،يوم احتل المغول بغداد ، حيث لم يدافع عن المعتصم بالله أحد

عود على بدء
2022

حين صحوت كان صباحا صيفيا يغمر بغداد ،فتحت عيني ببطء وتحسست الشراشف البيضاء ،رأسي كان ثقيلا بعض الشيء ، كنت اعرف إني قد تعرضت لحادث في الشارع ،تطلعت نحو الستائر المسدلة على الشباك العريض ،كانت ثقيلة لتمنع ضوء الشمس الصيفية من الدخول الى الغرفة ، خضراء يتماوج عليها ضوء المصباح المعلق ، لم تبدأ الحركة في المستشفى بعد فما زال السكون يسود المكان ،شعرت بحالة سلام شامل تتسلل الى كياني ، راحة لذيذة تملأ نفسي ،حاولت أن أنهض ولكني لم أفعل فقد استمتعت بمد أطرافي ، أفردت يدي وتنفست بعمق ، هذه ذات الحالة التي جلست فيها انتصار عصر نهار صيفي ولكن في استكهولم ،كانت نسائم باردة تعبر المدينة الضاجة بالحركة ،قالت بأنها تشعر لأول مرة بحالة غريبة من الهدوء الشامل ،قلت لها لأن نهارك كان متعبا فإعداد ، الميزانية منهك بسبب التركيز على مئات الأرقام

Met opmerkingen [A2]:

ذهبت الى الحمام وعادت وفي عينيها بريق غريب يضج بالبهجة وسمعتها تغني وهي امام المرآة تنشف شعرها الذي ما زال فاتنا بكثافته ولونه الأشقر ....يا نبعة الريحان حنّي ...كان كل هذا غريبا....ولم اسمعها بهذا الصوت الرخيم وهي منسجمة تماما مع الاغنية ....كنا نخطط لزيارة العراق في الشهر التالي وكانت منشغلة بما ستشتريه هدايا للأهل والأصدقاء ...اشترت أولا لعائلة رياض وكان يفترض أن نذهب غدا لاستكمال الباقي....قلت لها إذا طابت النفوس غنّت ...عرف الانسان الغناء قبل كل أنواع المعرفة الفنية ....قالت حتى قبل السحر والتفتت نحوي وهي تغمز بعينها

في الصباح كنت كالعادة أجلس مبكرا ..بعد ان أعددت الفطور ذهبت لإيقاظها ...فتحت الستارة التي يطل شباكها على الحديقة وأنا اردد نؤوم الضحى ريّا الخلاخل ، ولكنها لم تتحرك أو تفتح عينيها كعادتها تتطلع اليّ

كانت ما تزال بغفوتها كما تصورت ، تقدمت ....كانت يدها اليسرى مدلاة خارج السرير، حين رفعتها أحسست بها باردة ، وضعت يدي على خدها ،وقد تحرك في قلبي خوف مبهم ، كانت انتصار قد رحلت حتى دون وداع في بغداد استقبلنا رياض ومنى وبعض المعارف ، لم أقف عند القبر وهم يهيلون التراب على جثمانها ، كان فراغ يقبض على قلبي وأحس بأني محشور في مكان ضيّق يصعب فيه التنفس ،فتحت أزرار قميصي وترنحت ،، قال رياض بأنه التفت ليجدني ممدا على تراب المقبرة

حين عدت الى استكهولم لم أذهب الى البيت فقد شعرت إني غير قادر على الدخول اليه ، ذهبت الى فندق مجاور ،كنت اتناول وجبتي طعام جالسا على كرسي أمام الشباك أتطلع الى مجاميع الداخلين والخارجين الى محطة قطار فرعية ،كانت الانطباعات على الوجوه متباينة ولكن على العموم جادة عدا بعض المتسكعين الذين يعرضون بضاعة ما على أشخاص ينتقوهم بفراسة وخبرة في التعامل ،تقف أمامي انتصار بضفيرتها الشقراء وابتسامتها الطفولية ثم تختفي بين الزحام في باحة المحطة ،

اندفع طائر أبيض الريش بقوائم قصيرة ليرتطم بالشباك ويقف على الإفريز متطلعا الى داخل غرفي باستغراب وهو يرفع منقاره كأنه يتشمم رائحة ما ،فتحت الشباك ورميت له قطة من الخبز نظر اليها ثم تحول اليّ وارتكز على رجل واحدة وترك الافريز وكأنه يسقط حرا الى الأسفل ثم رفّ بجناحيه وحاول الطيران ، كان يبذل جهدا كي يطير ...حطّ على شجرة كرز تفتحت أزهارها وضم جناحيه بقوة ،

ربما كي يستعيد القدرة على الطيران ،كنت أتابعه بشف أحسست به لأول مرة منذ وفاة انتصار .

سنتين كنت خلالهما غير قادر على التفاعل مع أي من أنشطة الحياة المتنوعة ،كنت أتحدث مرتين في الأسبوع مع رياض وأحيانا مع ابني حسن، وجدت أني لا يمكن أن أستمر على هذا النحو ، حاولت أن أعود الى الكتابة لكني بدأت أفقد التركيز ، كانت الجامعة قد قررت تنسيبي الى قسم البحوث والدراسات وهذا يعني أن أتفرغ للقراءة ومن ثم الكتابة في المواضيع التي ترغب فيها إدارة الجامعة ، كنت في نهار رائق أجلس في البيت تحت شجرة السنديان حين زارني أحد الأساتذة ،قال بأنه يحتاج الى رأيي في قضية تتعلق بالسياسة النقدية في ظل التضخم ...تحدثنا لأكثر من

ساعتين ...حين استأذن قال-دكتور عبدو هل استطيع أن أطلب منك شيئا شخصيا ؟

نعن إن كان ممكنا-

. إذا ما قررت الذهاب الى العراق أرجو أن أذهب معك-

ولكن ليس في مخططي مثل هذا المشروع-

جسنا إن فكرت-

لابأس -

ليلا اتصلت برياض ودار حديث متشعب وحين أخبرته بطلب زميلي السويدي رحّب بزيارته وقال بأنه سيكلف أحد الموظفين في بغداد بالعناية به ،،ثم كمن يستدرك أمرا

قال-لقد ذكرتني....لقد عرض علي مدير فرع الشركة في بغداد ، أنت تعرفه ،محسن ، المهندس المعماري خريج النمسا ،بيته والذي هو مشتمل بمساحة مئة متر ، حين عاينته وجدته تحفة معمارية نادرة والبناء يزاوج بين العراقة في ، الحضارة العراقية ، والحداثة كما هي عند زها حديد ، ما رأيك بأن تشتريه

ولكن ليس في مخططي السكنى في بغداد ثانية-

بعد نقاش وافقت ، كلفّ رياض أحدى مهندسات الشركة بالاهتمام بتأثيثه والقيام . بما يلزم لعمل ديكور من المهم أن يتميز بشيء من البهجة والرفاهة

دخلت الممرضة الهندية وهي تلاحق ابتسامتها ...صباح الخير

صباح الخير-

أرجو أن تكون قد تحسنت

نعم-

سأفتح الشباك الاخر-

كانت الشمس قد انحرفت قليلا وبدت الحديقة الخلفية مزهوة بصف من النخيل بينها نبتات من زهور مختلفة

قلت – بودي أن أغني

توقفت عن مسح الطاولة وتوجهت الى الباب لتغلقه

انا اسمعك رغم أني لا اعرف من العربية غير السلام عليكم-

تذكرت انتصار ...قلت في سري ...هذه آخر ليالي عمري ،احترت أية أغنية ،أختارها
قلت للممرضة ساعديني أعود الى الفرش ، ألن تغني ...احب منظر النخلة وهي مليئة بالثمر ، لن أغني فمن كنت أود أن يسمعني رحل وتركني للوحدة
قالت الممرضة -هاتفك يرن
لم تلحق به ، كانت ابتسام ،أرسلت نصا على الوتس آب تعتذر إنها لن تحضر بسبب مرض ابنها ومرافقتها له في المستشفى وتتمنى لي الشفاء وتعدني بأن تحضر حال تحسن حالة ماجد ....لم أرد عليها
شعرت برغبة في النوم ....مضت بضع ساعات حين حضر الطبيب المسؤول
حسنا ...وضعك غريب بعض الشيء فالتحسن الذي طرأ لا يتماشى مع - التحاليل والفحوص ، ربما هو لطف من الله
لم أرد عليه ، كنت أكثر قناعة بأني سأرحل خلال الليل ، في الصباح عليهم ان يستعدوا لترتيب أمر جنازتي ، ستقف نهايتي عند هذه الليلة وسأرحل وأنا أتوشح الليل، في الساعة الواحدة التي كانت تؤشرها ساعة الحائط في الغرفة شعرت إني أسترخي ، وزارتني أحلام كأنها لوحة تجريدية تتداخل فيها الألوان والصور وتترافق معها أصوات ملتبسة كأنها تتقصد ألا تعني شيئا، حاولت أن أهرب فوجدت نفسي في المقبرة عند قبر انتصار ،كانت عند قبرها دائرة من ثلاث حلقات من نساء يتوشحن عباءات سود ، لم اتبين وجوههن ، كنّ صامتات ينظرن الى القبر ،قلت ماذا يحصل؟ ساد صمت وغابت الشمس وراء غيمة قادمة من الجنوب ، قالت امرأة لم اتعرف عليها !! ولكن الصوت كان ينضح حزنا ..نزور أختنا فقد ظلت وحيدة
قامت امرأة من الحلقة الثالثة وهي تخرج من تحت عباءتها شتلة ورد بثلاثة الوان ....الاحمر والأصفر والأبيض ..تذكرت إسكندر دوماس وجهده لسنوات في الزنبقة السوداء لا شك ان الذي توصل الى نبتة بثلاثة الوان قد عانى الكثير....وضعت المرأة الشتلة عند رأس انتصار بشيء من المهابة وهي تنحني ...انتحبت النسوة ولكن بصوت هادئ وهن يغطين وجوههن لعباءاتهن ويختفين في المقبرة
،حين فتحت عيني كانت الساعة الخامسة تعلنها ساعة الحائط
، دخلت الممرضة الهندية وبيدها كاسه بيضاء وملعقة

قليل من الشوربة سيكون نافعا-
أين ذهبن-
مَن ؟ -
النسوة عند انتصار-
!!!!!ربما الى البيت-
، فجأة شعرت بأني أصحو وإن الممرضة تحاول أن تجاريني
شكرا ولكني أود أن أرحل خفيفا-
لن ترحل وحين تستقر في بيتك عليك أن ترتب لخطبتي فقد قررت أن -
أتزوجك
ثانية شكرا لجبر خاطري ولكن تذكريني فقط-
شعرت ببضع قطرات من الماء تنساب ببطء وصوت نحيب متقطع ..سمعت
الممرضة تقول
اسمع نقرا على الباب ،هل تسمح لي؟-
كان الباب مواربا وهي تقف سادة الطريق ، كان همسها يصلني متقطعا
وغير واضح المخارج ،في الجانب الاخر كان صوت رجل، رنّة الصوت
الواطئ تموج في خاطري ولكني لم أحددها ، تهيأت لأن أرى شخصا
أعرفه ،اعتدلت فيما انفتح الباب ، كان حسن يخطو مترددا وبحذر ربما
ليتفادى احداث صوت قد يضايقني ، كان مرهقا فقد بدت عيناه الخضراوين
منهكة يتلألأ فيها كمّ من الدمع يملأ الجفنين فيما بدت شفتاه داكنتان ويهيمن
على وجهه ظلال ثقيلة من الحزن ،حتى ملابسه رأيتها قد اختيرت على
عجل ، أعرف الى حد هو ينشغل بأناقته .
بابا-
وتوقف عن الكلام فقد خنقته العبرة وتساقط دمعه على وجهي وهو ينحني
يقبل جبهتي
ربت على كتفه وقلت له
اجلس أولا لترتاح-
كيف استطيع الراحة ، ماذا حصل؟-
حادثة سير-
ولكنك تركت القيادة كما اعلم-

الذي كان يقود السيارة هو الذي عمل الحادث-
لا أفهم -
كنت في الشارع حين داهمني مراهق...كنت ضجرا في البيت فخلال - أسبوع لم أكلم أحدا وبدا البيت يحاصرني...هكذا ببساطة طرت من منتصف الشارع الى الرصيف...على أية لا عليك ، من أخبرك إني في المستشفى؟
العم رياض ، كلمني وقال انه لا يمكنه ترك الخالة منى وحدها في - مصابة بفيروس الكورونا كما إنه يخشى أن ينقل المرض اليك وطلب ، مني ان أكون الى جانبك
لقد كان عندي ولكن
حسنا فعلت فأنا مغادر هذه الليلة -
الى أين ؟-
الى انتصار فهي وحيدة-
لم يتكلم ، نظر نحوي باستغراب وبشيء من الخوف
... ارجو ان تنتبه الى ما أقوله ،البيت هو ما أتركه لكم ، أما لك-
ارجو الا تكمل فلا أنا ولا أخوي بحاجة الى شيء فأمورنا أكثر من - جيدة ، ما يمنا أنت
لا بأس ...دعني أكمل ....لم اترك لكم شيئا فقد تبرعت بما املك .... - هذه وصيتي ...الأمر الثاني أن أدفن بجوار انتصار، ألأمر الثالث أن تضع الصورة في كفني فهي تجمعنا نحن الخمسة في مزرعة خالتك في الصويرة ،كنتم صغارا تفترشون الحشيش وانا وانتصار على كرسيين من جريد النخل نشرب الشاي، كانت دائما تشعرني بالبهجة كان متفاجئا من طريقتي في الحديث وسيطرتي على تسلسله وتأكدي من موتي
قال- سأبات عندك ولهذا سأذهب الى الإدارة لترتيب ذلك
لن تبات عندي ...الساعة الان الحادية عشر ..يمكنك الذهاب الى - البيت أو الى الفندق القريب فهو نظيف والخدمة فيه ممتازة ، يمكنك أن تأتي صباحا ....هذا ليس موضع مناقشة
حين غادرني بدأت أشعر بتعب خفيف ،ضغطت الجرس الموضوع قرب سريري ، كانت الممرضة مناوبة الليل في الاربعينات قصيرة

بوجه مكتنز يحمل انطباعا متبرما وتحاول أن تخفف من ذلك بابتسامة بدت خارج إطار المجاملة ، حتى غطاء الرأس الأبيض كان يترك ،نصف رأسها الأمامي مكشوفا

نعم حجي ، مع من كنت تتحدث ، كنت منفعلا-

كأس ماء بارد رجاء-

هل تريد شيئا اخر ...يعني مرة واحدة-

لا شكرا -

خرجت تهز يديها بتبرم واضح جعلني أشعر بالأسف لأني طلبت الماء، كان الكأس ممتلئا إلى اقل من نصفه ، وضعته على الطاولة ، فكرت ليس هذا فأل حسن ليكون آخر ما أراه، أغمضت عيني وعدت أشعر بالسلام يشمل كل جوارحي وإني اطفو فوق غيوم مرحة ما تنفك تتحرك بطيش صبياني ،سألت نفسي لماذا نموت ؟ وأجبتها بحكمة من يقف على أبواب الوداع خال من أية مشاعر بالأسف ،في الحياة حقيقتان الميلاد والموت ...الميلاد لنخلف من هم قبلنا والموت لنخلي مكانا لمن بعدنا ....ظلال الظلام تتكاثف وكأنها طبقات تبنى بحرفية ،الضوء الوحيد الذي كان مصرا أن يخترق طبقات الظلال كان مصباح الجهاز ، المربوط برأسي ، كان وميضه يعني إني ما زلت أعيش

الصمت يتمدد في المستشفى وهدوء شامل بدأ يتراخى مع أصوات أحذية تطرق الأرضية في الممر ، كانت الأرضية تلمع بشيء من الزهو فهي من المرمر الرصاصي وهذا ما يجعل أصوات الأحذية ، النسائية ذات الكعوب الصلدة اعلانا بوجود امرأة تعلن عن وصولها كنت أرغب في ان اتمدد وأفرد ذراعي لأتمطى رغبة ببعض النشاط ولكني لم أملك القدرة ، قوة غامضة تمسك بأطرافي وكأنها تقيدني الى الفراش ، إذا حلّت ساعة الرحيل ، وعزرائيل هو ضيفي ، بدأت مشاعري تبتعد بتؤدة وأغمضت عيني ولكني كنت أرى عالما آخر تحملني عبر طرقه أيد خفية ..ولم يكن حسن قد حضر بعد ولكني كنت ارغب أن أراه فهو يستحق ذلك ،تذكرت إنه كان معي، كيف يكون معي وليس معي!!!

وفجأة اقتحمت تلك الطرق مجموعات عارية ترفع أيديها وهي تتوسل بصراخ حاد، تراخت الأيادي التي كانت تحملني وبدأت انحدر بسرعة

الى أعماق يسودها ظلام دامس ولكني لم أشعر بالرعب ، كنت مطمئنا إني سأستقر وإن صلتي بالكون الأرضي قد انتهت ،ولكن رائحة اعرفها كانت تتسرب الى أنفي ....كانت تستولي عليّ راحة عميقة إنها ، رائحة انتصار

لم اشعر اني اغرق كما قرأت مرة في حادث موت ، كنت أهبط باسترخاء ولكن دون إرادتي ، لماذا لا نختار موتنا ، لم ترق لي الفكرة فالموت هو ثاني الحقائق الإنسانية ، الأولى الولادة والثانية الموت وكلاهما لا يملك أي منا القرار بشأنها ، صحيح البعض ينتحر ولكن ذلك ليس بإرادته ،إنه بضغط خارجي ، كنت ممددا على دكة اسمنتية وأربع أيد خشنة تدفع بالماء فوق جسدي ،حاولت ان استفسر لماذا ؟ ولكن صوتي كان محبوسا كما في كوابيسي ، كان الاب بلحيته البيضاء صامتا في حين كان الأبن لا يكف عن الثرثرة عن مشاكل أمه مع زوجته

الحق يا أبي إن أمي تريد منها أن تكون مجرد خادمة-

توقف الاب ورفع يديه اللتين انساب منهما الماء على ملابسه لننهي أولا غسيل الميت-

كان هذا توثيقا لفترة بقائي على الأرض فبعد بضع ساعات سأستقر في ظلام دائم ،ولن اسمع بعدها أية أصوات ،وحينها فقط لن يكون أمامي أية خيارات فالموت يلغيها

الضوء الذي تشع به الأشياء بدأ يتضاءل ويبتعد ويفرض مع انسحابه وحشة مضنية ، ومع كل حفنة تراب تنهال على جسدي أشعر بالاختناق ،وكان يضايقني إنهم يهيلون التراب على وجهي أولا مما يجعل من عودة الضوء أمرا مستحيلا ، وحين سدّت فتحة القبر بالتراب غرقت في عمق الظلام الدائم الذي كنت أتمثله ولكن وقع الخطى وهي تغادر صوتها أصم و كانت رتابته كأنها تأكيد على إن كل شيء قد انتهى سيما وإن صمتا بلا قرار كان قد ملء جوانب القبر وأصبح من الواضح إن الضوء الذي ينتشر يوميا عند بدء النهار لن يعاود الظهور في عزلتي الأبدية هذه

هذا اليقين جعلني استرخي تماما مستسلما لقدري الذي هو النهاية الطبيعية التي كنت اعرفها ولكنها كانت دائما تتراجع عند قيامي بنشاط

ما في مجمل ما أمارسه يوميا سواء في عملي أو عندما أجلس خلف الكومبيوتر لكتابة موضوع معين ،في حكم اليقين الملزم لا بد من التوقف عن هذا الهراء فالضوء لن يعاود الظهور حتي ولو في نهار صيفي في بغداد.....في أعماق الظلمة صيرورة حلم مركب لم تستغرق منه فعاليات الحياة الا ومضة سريعة ، ربما مليئة بالأحداث ولكنها تنقضي وتستقر في الذاكرة وأحيانا تسقط حتى من الذاكرة ويبقى الحلم لغزا بحاجة الى إعادة صياغته لمعرفة ماذا يعني أن تولد وأنت محكوم بالموت !!!!!!